MAS_Fi_04/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد Université Abou Bekr Belkaid
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: الحضارة العربية الإسلامية

2013
Facil 11 0 1457

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

الفن المعماري في الأندلس

" قصر الحمراء نموذجا "

إعداد الطالبتين:

فتيحة بوزكري

فضيلة حشيد

إشراف الأستاذة:

ابن حدو

السنة الجامعية: 1433-1434هـ/2012-2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح.

يا رب علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة و أن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف

يا رب إذا جردتني من المال أترك لي الأمل و إذا جردتني من النجاح أترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل و إذا جردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان

يا رب إذا أسأت إلى الناس أعطيني شجاعة الاعتذار و إذا أساء الناس إلي أعطيني شجاعة العفو

يا رب إذا نسيتك فلا تنساني

كلمة شكر

قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بعد

بسم الله الرحمان الرحيم

" وَ اللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا

وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الأَبْصَارَ وَ الأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "

سورة النحل -الآية 78 -

الشكر الأول و الأخير لله عز و جل الذي وهبنا نعمة التعلم و وفقنا لانجاز هذا العمل الأكاديمي .

الشكر الخالص الى الأستاذة المشرفة "ابن حدو " على دعمها و مساعدتها لنا كما نتقدم بالشكر الجزيل الى كل من مد لنا يد العون من اجل اتمام هذا البحث و نذكر من بينهم الأستاذة لعريبي .

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على حبيبنا و سيدنا محمد و على اله و أصحابه الأكرمين.

أما بعد:

للأندلس تاريخ حافل بمفاخر العرب و المسلمين،ولقد كتب للعديد من آثارهم أن تبقى إلى اليوم شاهدة على ما بلغوه من الرقي و التطور و أهمها الآثار العمرانية التي تستقطب في وقتنا هذا الملايين من السياح إلى إسبانيا و لعل أبرزها قصر الحمراء أو كما يطلق عليه الإسبان القصر العربي والذي أخذناه كنموذج لبحثنا الموسوم بالفن المعماري في الأندلس – قصر الحمراء نموذجا- فما هي أهم الخصائص التي تميز هذا القصر عن باقي القصور الأندلسية ؟ و ما مدى رقي التخطيط و التعمير و الزخرفة فيه؟

لعل السبب الذي دفعنا إلى إختيار هذا الموضوع هو الرغبة في تسليط الضوء على قدرة المسلمين على تشييد المباني الرائعة ، و دراستها لأننا أولى بالتعرف على حضارتنا من الأجانب ، كما رغبنا من خلال هذا البحث بث الهمة في نفوس المسلمين من اجل الاهتمام بالمباني في كل النواحي ، وإعادة نشر ثقافة البستنة و التشجير التي أصبحت تختفي ليحتل مكانها الإسمنت و اتبعنا في دراستنا هذه المنهج التاريخي الوصفي الذي يتماشي مع طبيعة البحث، الذي قسمناه إلى مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة ، و عرفنا في المدخل العمارة ثم تحدثنا عن العمارة العربية قبل الإسلام ، أما في الفصل الأول و الذي عنوناه بالعمارة العربية الإسلامية فتحدثنا في المبحث الأول عن المنشآت العمرانية في الإسلام و في المبحث الثاني تطرقنا إلى خصائص العمارة العربية الإسلامية و ذكرنا في المبحث الثالث أهم العوامل التي ساعدت في ازدهار هذه العمارة، أما في الفصل الثاني الموسوم بالأندلس بعد الفتح الإسلامي فتحدثنا في المبحث الأول عن الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس و مراحله، و في المبحث الثاني تناولنا دراسة عامة للعمران في المدينة الأندلسية، وركزنا على تطور القصور من فترة بني أمية

وصولا إلى فترة المرابطين و الموحدين لأن قصر الحمراء هو النموذج الذي درسناه دراسة مفصلة في الفصل الثالث، وختمنا بحثنا بخاتمة تكونت من مجموعة من الاستنتاجات العامة حول الموضوع .

اعتمدنا خلال بحثنا هذا على بيوغرافية متنوعة ، ركزنا فيها على بعض الكتب مثل كتاب الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال لمحمد عبد الله عنان و كتاب بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار للسيد عبد العزيز سالم.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد أضفنا لمسة علمية أكاديمية تخدم تاريخ و حضارة العرب في الأندلس .

فتيحة بوزكري

فضيلة حشيد

تلمسان السبت 01 جوان 2013م الموافق ل 22 رجب 1434 هـ

المدخل:

العمارة العربية قبل الاسلام

1- مفهوم العمارة:

أ- لغة: لقد جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ "العِمَارة: ما يعمر به المكان، والعِمَارَة والعَمَارَةُ: أصغر من القبيلة، وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه، وينفرد بظعنها وإقامتها ونُجعتِها وهي من الإنسان الصَّدْرُ، وسمي الحي العظيم عمارة بعمارة الصدر وجمعها عمائر، ومنه يقول جرير:

يَجُوسُ عمارة ويكف أخرى لنا حتى يجاوزها دليل[1]

ب- اصطلاحا:

أما العمارة اصطلاحا فهي: "منشأة مؤلفة من كتلة وفراغات وظيفتها استيعاب نشاط إنساني كالإسكان والعبادة والعمل والدفاع وشروطها المتانة والراحة".[2]

تنتقل العمارة من غرضها الوظيفي إلى غرض أسمى هو تجسيد الأحاسيس الراقية من حب للجمال وغيره على أرض الواقع وتعتبر العمارة بهذا أم الفنون وأهمها.[3]

إذن "ليست العمارة مجرد أبنية تنشأ لحل مشكلة وظيفة سكنية أو غيرها وحسب، بل هي المظهر الحضاري والقومي الذي يحدد الشخصية الثقافية لأمة من الأمم".[4]

ويمكن أن نعبر عن العمارة بأنها هي "الأبنية الفاخرة التي تسمو في أهدافها على ماديات المسكن والمأوى إلى معنويات الجمال والسعادة والكمال".[5]

فالعمارة تنبني على جانبين أساسيين أولهما: الجانب الإنشائي الذي يسعى إلى تحقيق وظيفة معينة والجانب الفني الذي يعكس شخصية المهندس الذي صمم العمارة ومدى تذوقه للجمال

2- العمارة العربية قبل الإسلام:

كانت العمارة في بدايتها في العصر الحجري "بدائية قوامها الحجر الضخم أو الخشب وكان الهدف إيواء الساكنين وحمايتهم من العدوان وإلى جانب الحجر والخشب

---

[1]- لسان العرب ابن منظور، دار المعارف، ج4، ص 3102.
[2]- العمارة والمعاصرة، د/عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، د.ط، 2005، ص7.
[3]- ينظر، العمارة والفنون في دولة الإسلام، د/سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف جلال حزى وشركاه، الإسكندرية، د.ط، 2004، ص25.
[4]- العمارة العربية: الجمالية والوحدة والتنوع، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط المغرب، د.ط، د.ت، ص99.
[5]- العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص19.

ظهرت مادة الطين (اللبن) والطين المشوي (الآجر) ومنذ بداية التاريخ أصبحت العمارة فنا وعلما يتطلب دراسة هندسية واهتماما جماليا".[1]

يقول الدكتور عفيف البهنسي: "كانت العمارة قبل الإسلام الصيغة الأكثر وضوحا في حضارات الرافدين ومصر القديمة".[2]

لا تزال العديد من الآثار المعمارية قائمة في البلاد العربية تشهد على رقي فن العمارة في الحضارات العربية قبل الإسلام.

لقد تميزت اليمن في الجاهلية بأنها كانت" أكثر بلاد العرب تحضرا وكانت كثيرة الحصون والمسالح والقصور وكانت القصور تعرف بالمحافد".[3]

وعرفت مدن اليمن بأنها كانت "تقوم على مرتفعات صنعية لحمايتها من السيول وكانت المسافات بينها متساوية وكان أكثرها صغيرا".[4]

ومن المدن اليمنية التي عرفت قبل الإسلام "مدينة صنعاء، وقد ورد اسمها في النقوش منذ عام (120م) باليمنية القديمة "هجر صنعو" أي: مدينة صنعاء، وتقع في السفح الغربي لجبل نُقُم من بلاد اليمن، وكانت المدينة مقسمة إلى أحياء تشكلت حسب توزيع القبائل حيث خص كل منها بحي أحاطته بسور وفتحت فيه بابا".[5]

كما نجد في اليمن أيضا مدينة "مأرب وهي ذات أسوار وأبراج ولها أربعة أبواب وميدان كبير في الوسط وفيها قصور فخمة كالهجر والقشيب وقصر غمدان، وقد بني هذا القصر في القرن الأول للميلاد تقريبا.[6]

أصبحت مأرب في عهد السبئيين مركزا تجاريا هاما وكانت هذه المدينة محاطة بالجنات والبساتين وانعكس هذا الازدهار على العمران فشيد أهلها السدود والقصور والحصون...[7]

---

[1]- العمارة والمعاصرة، ص7.
[2]-العمارة والمعاصرة ، ص41.
[3]- تاريخ العرب في عصر الجاهلية، د/عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، د.ط، 1971، ص111.
[4]- العمارة عبر التاريخ، د/عفيف البهنسي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، د.ط، د.ت، ص153.
[5]- تخطيط المدن (العمارة والزخرفة)، د/حنان قرقوتي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، د.ت، ص 16-17.
[6]- العمارة عبر التاريخ، ص 153.
[7]- ينظر تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 115

وفي مأرب وجد سد شهير يدعى سد مأرب والذي هو "عبارة عن جدار ضخم أقيم في عرض الوادي وطوله نحو800 ذراع وارتفاعه بضع عشرة ذراعا وقمة جسد السد على شكل هرم وفي طرفيه منافذ لتصريف المياه ولقد بدأ بإنشاء السد في القرن الثامن ق. م".[1]

كما لم تخلو بلاد الحجاز من العمران على عكس ما قيل في العديد من الدراسات التي لم تتعمق في أبحاثها وأخذتها بسطحية وقالت أنّ العرب لم يكونوا إلاّ بدوا رحلا.

وورد عن الإخباريين أنّهم يزعمون أنّ "أقدم من حكم مكة والحجاز وعليهم سميدع بن هوبر بن لاوي وخلفهم بنو جرهم القحطانية، وكان إبراهيم عليه السلام قد أسكن ولده إسماعيل مكة مع أمه هاجر، وبنى البيت العتيق بالحجر بمعاونة ابنه إسماعيل وتزوج إسماعيل امرأة جرهمية وكانت منازل جرهم بمكة وما حولها".[2]

أما عن العمارة في المدينة المنورة "ففيما قبيل الإسلام كان سكان المدينة يتنافسون في بناء الحصون وتشييد الآطام وهدفهم من ذلك هو الالتجاء إلى هذا النوع من البناء العاصم لهم من مخاطر هجوم أعدائهم إذا نشبت حرب أهلية أو قبلية بين مختلف الطوائف كما هو دائم الحصول في أيام الجاهلية، والآطام وإن تكن من نوع الحصون بالمعنى العام إلاّ أنّ لها وضعا خاصا في طراز العمارة فهي تشاد بالحجارة المختلفة الأحجام يوضع فيما بينها حشو الطين ولها مساطب عالية تشرف على ما حولها ويتنزه من فوقها، أمّا الحصون فبناؤها بالحجارة الضخمة الهائلة المربعة ولا حشو بينها وقد تكون الآبار بداخلها هذا ما استنتجناه من واقع الحصن والأطم العتيقة الشاخصة أطلالها إلى اليوم".[3]

ولم يبق من هذه الآطام إلى يومنا هذا سوى ثلاثة هي: حصن كعب بن أشرف، وأطم الضحيان وأطم أبي دجانة السماك.[4]

---

[1]- العمارة قبل التاريخ، ص153.
[2]- تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص366.
[3]- آثار المدينة المنورة، عبد القدوس الأنصاري، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط3، 1973، ص64.
[4]- ينظر نفس المرجع السابق، ص64.

وفي الشام تقع إحدى أهم المدن العربية وهي "مدينة دمشق القديمة التي دخلها خالد بن الوليد –رضي الله عنه– من بابها الشرقي فاتحا وأبو عبيدة من باب الجابية صلحا والتقيا بالمسقلاط موضع النحاسيين".[1]

"كما تظهر المدينة العربية القديمة تدمر بيضاوية الشكل تحيط بها أربعة مقابر في الشمال والجنوب وواد للقبور في الغرب ولا تزال العديد من هذه القبور قائمة ومنها مدافن البرج ومدفن ايلابل كما وجد في شرقي المدينة معبد يسمى بمعبد بل وهو ساحة مربعة محاطة بسور في وسطها يوجد هيكل الآلهة وأمامه المذبح وفي الغرب نجد قوس النصر كما وجد في وسط المدينة المسرح التدمري".[2]

ومدينة تدمر هي مدينة عربية صرفة وتتجلى عروبتها في لغة سكانها حيث كانوا يتكلمون اللغة الآرمية التي هي أصل العربية وفي معتقدهم الديني حيث عبدوا الأصنام مثل اللاة ومناة والعزى وفي تميز فنها من رسم ونحت عن ما كان منتشرا عند الرومانيين".[3]

توجد إلى اليوم آثار معمارية ترجع إلى فترة حكم الأنباط "الذين توسع سلطانهم سنة312 ق. م وبلغوا أوج ازدهارهم سنة 28 ق. م".[4]

لقد تأثرت الفنون النبطية بالفنون الإغريقية، البلطمية والرومانية ومن أشهر المدن النبطية على الإطلاق مدائن صالح ومدينة البتراء التي يصل إليها أخذوذ صخري عرضه5 أمتار وارتفاعه يصل إلى 100 متر.[5]

نجد في البتراء "آثار ضريح يقال له ضريح الجرة، يزدان بواجهة من أروع ما تبقى من الآثار ذات الطابع الهللنستي وآثار ضريح القصر".[6]

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من الآثار نجد "أيضا خزنة فرعون والدير".[7]

---

[1]- تخطيط المدن (العمارة والزخرفة)، ص15.
[2]- العمارة عبر التاريخ، ص157.
[3]- ينظر العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، ص120.
[4]- العمارة العربية الجمالية و الوحدة و التنوع، ص120.
[5]- ينظر العمارة عبر التاريخ، ص155.
[6]- تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص199.
[7]- العمارة عبر التاريخ، ص155.

وكانت العمارة النبطية في الأردن تعتمد في أغلبها على النحت في المنحدرات الجبلية ذات التكوينات الصخرية الحمراء اللون، لقد اتبع المناذرة أسلوبهم اليمني في بنائهم للحيرة قرب الفرات، واشتهرت الحيرة بكثرة قصورها الحجرية كقصر الرواد والخورنق والسدير وهذان الأخيران يشبهان القلاع الراسخة حتى وصل الأمر بالعرب إلى أن سمو ملك الحيرة برب الخورنق والسدير لعظمة هذين القصرين.[1]

كما نجد في الحيرة قصرا مهما وهو "قصر العدسيين وينسب إلى بني عمار بن عبد المسيح ابن قيس بن حرملة بن علقمة بن عشير الكلبي، وسمي بقصر العدسيين نسبة إلى جدتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي".[2]

مع موجة التنصر عند المناذرة ظهرت العديد من الأديرة والكنائس التي بناها إمّا الملوك والأمراء أو الأشراف من العباد ومن الأديرة نذكر دير اللج ودير مارت مريم.[3]

فقد كانت زيادة عدد الكنائس والأديرة في عهد المناذرة ضرورة حتمية استوجبها انتشار الدين النصراني في هذا المجتمع من أجل إقامة الصلوات ونشر تعاليم النصرانية.

ولقد "اكتشف العالم الألماني أندريه قبل الحرب الأولى في منطقة الحضر التي تقع شمال العراق (وادي الثرثار) آثار مدينة عربية ترجع إلى القرن السابع الميلادي وهي مؤلفة من حصن يشمل معابد وبيوتا وحمامات وقصرا ومعبدا وهو أكثر هذه الآثار وضوحا وتمتاز العمارة في الحضر بكونها من الحجر المصقول ولكنّها ذات طابع رافدي وبارثي".[4]

تميزت عمارة بلاد الرافدين بوجود الأسوار حول المنازل والمعابد وحتى حول المدن، والهدف منها هو الحماية لأنّ المنطقة كانت تعاني من الحروب، كما تميزت بوجود البوابات الضخمة مثل باب عشتار أما قصورهم فقسمت إلى ثلاثة أقسام:

---

[1]- ينظر نفس المرجع السابق، ص156.
[2]- تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص306.
[3]- ينظر نفس المرجع السابق، ص305-306.
[4]- العمارة عبر التاريخ، ص159.

- **قسم الاستقبال:** الذي يشمل قاعة العرش وبعض القاعات التابعة له.
- **القسم الخاص:** هو الجناح الذي يقيم فيه الملك وعائلته.
- **قسم الخدمات:** ويتكون من المستودعات والمطبخ وغرف الخدم.[1]

اعتمدت عمارة بلاد الرافدين في عناصرها الإنشائية على الأعمدة التي أدخلها الآشوريون وعلى الأسقف والجدران وكانت المباني تكسى بالألواح الحجرية المزخرفة وكانت سميكة تتراوح سماكتها من 2 إلى 6 م، كما استعانوا بالدعامات التي كانت تتنوع بين المستطيلة الشكل والبيضاوية، كما قام الآشوريون بزخرفة الجزء السفلي من البناء وذلك بنقش بعض صور الصيد والحيوانات والنباتات.[2]

إنّ تواجد المواد الأولية للبناء وتنوعها يفتح مجالا واسعا أمام المهندس المعماري في حين أنّ انعدامها أو قلة تنوعها يضيق عليه الخناق ويفرض عليه اتجاها معينا فإنّ "ندرة الأحجار في بلاد الرافدين (العراق) دفع المعماري الى استعمال الطمي المحروق أو المجفف بالشمس مستعينا بالصخور المقتلعة من الجبال الشمالية لإنشاء الأساسات".[3]

بسبب العائق المتمثل في "قلة الغابات وعدم توفر الخشب عوض المعمار الرافدي السقوف الخشبية المسطحة بالقباب والقبوات الطينية، كما ابتكر الأقواس واستطاعت العمارة الطينية من مقاومة العوامل الجوية لأنّ الطمي الذي بنيت به كان مسلحا بالبوص والقصب".[4]

إنّ الزيقورات "أشهر المباني المعمارية على الإطلاق في الحضارة الرافدية وتعد الزيقورات نوعا من أنواع المعابد ظهرت لدى معظم الحضارات الواردة على بلاد الرافدين كالسومرية والبابلية، هذه المعابد تميزت بشكلها الهرمي المتدرج".[5]

---

[1]- ينظر، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، رنا إسماعيل اليسير، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص19-20.
[2]- ينظر تاريخ العمارة بين القديم والحديث، ص21-22.
[3]- العمارة والمعاصرة، ص10.
[4]-نفس المرجع السابق، ص10.
[5]- تاريخ العمارة بين القديم والحديث، ص27.

الفصل الاول:

العمارة العربية الاسلامية.

المبحث الاول: المنشآت العمرانية في الاسلام .

المبحث الثاني: خصائص العمارة الاسلامية

المبحث الثالث: العوامل التي ساعدت في ازدهار العمارة العربية الاسلامية

تمهيد:

بعد الفتوحات الإسلامية وانتشار هذا الدين الحنيف في العديد من البلدان تفرغ المسلمون لبناء حضارتهم ورفعوها إلى درجة راقية في كل المجالات وتبقى المباني الإسلامية الرائعة الجمال خير شاهد على إبداعهم في مجال العمران.

المبحث الأول: المنشآت العمرانية في الإسلام

لقد تنوعت المنشآت العمرانية في الإسلام وذلك حسب وظيفتها والعصور التي أنشأت فيها فنجد العمارة الدينية والمدنية والعسكرية والجنائزية... ونظرا لتنوعها وتعدد أشكالها ودقة هندستها ارتأينا أن نختار ثلاثة أنواع فقط من اجل التعريف بها في لمحات موجزة مع ذكر مثال واحد أو مثالين لكل نوع منها.

أولا: العمارة الدينية

أ- المسجد: بمجرد الحديث عن العمارة الدينية الإسلامية يتبادر إلى ذهن كل شخص صورة المسجد، لأنّه هو أهم مبنى يرمز إلى الدين الإسلامي على الإطلاق "فالمعروف أنّ المسجد هو مكان الصلاة التي يستحسن أن تؤدي فيه مع الجماعة".[1]

المساجد بيوت الله في الأرض قال تعالى:﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾.[2]

لقد ابتدأ بناء المسجد "بسيطا مؤلفا من قطعة أرض مربعة تحيطها جدران ويقام السقف على أعمدة من جذوع النخل أو على أعمدة حجرية مأخوذة من بناء قديم، ثم تطورت عمارات المسجد فظهرت المآذن والمحاريب والمنابر، ثم أصبح للمساجد مخطط معماري لا تكاد تخرج عنه في معظمها".[3]

تعد المدينة المنورة "بلد المساجد وأول مسجد بني على وجه الأرض كان بناؤه بالمدينة في ضاحية قباء الجنوبية الموالية لمكة والمفعمة بالحدائق وهذا المسجد الأول بناءً هو مسجد قباء".[4]

---

[1]- العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص198.
[2]- سورة الجن، الآية 18.
[3]- العمارة عبر التاريخ، ص 170.
[4]- آثار المدينة المنورة، عبد القدوس الأنصاري، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط3، 1393 هـ-1973م، ص80.

أسس مسجد قباء على يد الرسول صلى الله عليه وسلم في موضع قباء بعد هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة، ولقد "أفاد السمهودي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى المدينة المنورة نزل بقباء في منزل كلثوم بن الهدم من بني عمرو بن عوف وأخذ مربده، فأسسه مسجدا وشاركهم في بنائه وكان يصلي فيه".[1]

بقي المسلمون يصلون في مسجد قباء مستقبلين القدس الشريف حتى تحولت القبلة إلى الكعبة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وشاركهم في إعادة بنائه.[2]

ويأخذ مسجد قباء شكل مربع طول ضلعه 40 مترا ويحتوي على 29 أسطوانة وفيه محراب ومنبررخامي.[3]

والشيء الملفت للنظر في عمارة مسجد قباء هو الحجر المنقوش بالخط الكوفي القديم الذي يضم آية قرآنية يليها اسم من قام بتجديد عمارة مسجد قباء وهو أبو يعلى أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن –رضي الله عنه–.[4]

ولا يمكن أن نفرغ من الحديث عن مسجد قباء دون ذكر فضله، فمسجد قباء مذكور في القرآن الكريم قال تعالى:﴿... لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ...﴾

كما ورد ذكره في الأحاديث النبوية فعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة".[5]

لقد انتشر بناء المساجد بعد بناء مسجد قباء وزاد عددها بزيادة الفتوحات الإسلامية فعدد المساجد اليوم في الوطن العربي كبير جدا، ففي كل حي من الأحياء يوجد على الأقل مسجد واحد.

---

[1]- المساجد الأثرية في المدينة المنورة، محمد إلياس عبد الغني، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، ط2، 1419هـ-1999م، ص25-26.
[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 27.
[3]- ينظر، آثار المدينة المنورة، ص 81.
[4]- ينظر نفس المرجع السابق، ص 82.
[5]- ينظر المساجد الأثرية في المدينة المنورة، ص 27-28.

وأشهر المساجد في العالم على الإطلاق المسجد الحرام بمكة المكرمة والذي تتوسطه الكعبة المشرفة، وسنتحدث باختصار عن تاريخ بنائه، فلما فتح المسلمون مكة بقيت الكعبة على حالتها فلم يقوم المسلمين إلا بتطهيرها من الأصنام والصور وبقي المسجد الحرام دون جدران تعزله عن الدور المحيطة به، ولم يفكر احد من المسلمين في بنائه لانشغالهم بالجهاد و عملهم على نشر الاسلام.وفي عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – اشترى الدور المجاورة للمسجد فهدمها ووسعه وأحاطه بسور ارتفاعه يزيد عن قامة الرجل، وفعل نفس الشيء الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه– بعد أن رأى أن المسجد يضيق بالمصلين والحجاج كما بني فيه أروقة ليستظل بها المسلمون في الحرم، وفي العهد الأموي قام الوليد بن عبد الملك بتوسعة أخرى حيث زاد رواقا آخرا على حافة المسجد حول الكعبة من الجهة الشرقية وجاء بالأساطين من مصر والشام وزخرف الجدران بالفسيفساء، وفي العصر العباسي أمر السلطان المهدي بتوسعة المسجد فجيء بأساطين الرخام من مصر والشام كما بنى أروقة جديدة مسقوفة بخشب الساج وكان للمسجد أربعة منارات وثلاثة وعشرون بابا، كما اهتم الخلفاء العثمانيون اهتماما شديدا بالحرم فقد بادر السلطان "سليم" في بنائه بناء محكما وأبدل سقوفه الخشبية بالقباب، ثم توالت توسيعات المسجد الحرام في العهد السعودي فأحيطت الكعبة بالأروقة ذات عدة طوابق وأنشأت سبعة مآذن وكسيت الجدران بالرخام الثمين.[1]

كما يعد المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ثاني أشهر المساجد عالميا بعد الحرم المكي "ويصنف هذا المسجد مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره والروضة الشريفة والأسطوانات التي كانت لها مناسبات تاريخية".[2]

وفضلا عن المساجد التي ذكرنا توجد العديد من المساجد الأخرى ذات الأهمية البارزة مثل مسجد قبة الصخرة الذي يقع ضمن بناء المسجد الأقصى وكذلك الجامع الأموي بدمشق الذي يعد من روائع الأبنية في العصر الأموي.

[1]- ينظر المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها، شريف يوسف، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، د.ط، 1980، ص24-25.

[2]- المساجد الأثرية في المدينة المنورة، ص 16.

أهم عناصر عمارة المساجد:

بيت الصلاة: وهو الجزء المسقوف من المسجد من ناحية القبلة وقد يمتد إلى صفين من الأعمدة أو أكثر.[1]

الصحن: هو الجزء غير المسقوف من المسجد وكانوا يصلون فيه صلاة الجمعة إذا لم يتسع لهم بيت الصلاة أي أنهم اعتبروه امتدادا لبيت صلاة. أما في الأيام الأخرى غير الجمعة فكان يستعمل كمكان للسمر أو البيع أو الشراء أو النوم ثم اختلف الأمر وأصبح الفقهاء يلفتون انتباه الناس إلى أن الصحن يعتبر جزء من المسجد يجب المحافظة على نظافته وعدم القيام بأعمال أخرى فيه غير الصلاة.[2]

القبلة: " صدر المسجد وهي جداره المتجه نحو مكة، فإذا صلى الناس اتجاهها كانت وجوههم ناظرة إلى بيت الله في ذلك البلد الحرام".[3]

المئذنة: وهي بناء مرتفع يصعد فيه المؤذن وقد كانت المساجد في عهد الخلفاء الراشدين خالية من المآذن وظهر هذا العنصر المعماري في عمارة المسجد في العصر الأموي، ثم تطور بعد ذلك ومن أشهر المآذن الإسلامية مئذنة جامع البصرة ومآذن جامع الفسطاط الأربع في مصر ومئذنة جامع القيروان في تونس ومئذنة الكتيبة في مراكش...[4].

لقد تعددت أشكال المآذن واختلفت حسب العصور "فمنها ما بني على شكل أسطوانة تقع على قاعدة مرتفعة كما في مساجد العراق، ومنها ما بني على شكل مربع كما في مساجد الشام حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ومنها ما بني على شكل حلزوني مثل مئذنة الجامع الكبير وجامع "أبي دلف في سامراء وجامع ابن طولون في مصر".[5]

القبة: وتعتبر هذه الأخيرة إلى جانب المئذنة "من أظهر عناصر العمارة المسجدية الإسلامية، ويكاد يكون من العسير أن نتصور مسجدا ذا مئذنة بدون قبة، ومسجدا ذا قبة بدون مئذنة قريبة منها، لأن المعماريين المسلمين عرفوا كيف يجعلون من هذين

---

[1]- المساجد، حسين مؤنس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص 61.
[2]- ينظر المرجع السابق، ص 61-62.
[3]- المرجع السابق، ص 62.
[4]- ينظر العمارة العربية الإسلامية، محمد حسين جودي، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط1، 2007م- 1427هـ، ص 72-73.
[5]- العمارة العربية الإسلامية، ص 73.

العنصرين المعماريين المختلفين في الهيئة وحدة جمالية تضفي على المسجد توازنا يرتاح إليه النظر".[1]

المحراب: ويعد ابتكارا معماريا عربيا إسلاميا ولقد "استخدم في جدار القبلة لتعيين اتجاهها، وظهر عند المسلمين منذ السنة الثانية للهجرة، فمنها استقر اتجاه الصلاة نحو الكعبة، أي أنه وجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي بني فيه مسجد الرسول في المدينة، ويذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم عين مكان المحراب ووضعه بنفسه في مسجد (قباء) خارج المدينة، وكان بناء هذا المحراب بسيطا يتألف من تجويف، ثم تطور هذا التجويف مع تطور بناء المساجد في العهود الإسلامية اللاحقة، وأخذ يزداد عمقه، والمجوف عبارة عن حنية ذات مسقط دائري كمحاريب الشام والمغرب العربي أو ذات مسقط من أضلاع متعاقدة كمحاريب العراق ... ".[2]

وليس ضروريا أن يكون المحراب عبارة عن حنية بل يكتفي تعيين مكانه على الجدار وفي المساجد الأولى كان يكتفي بوضع علامة لمكان وقوف الإمام.[3]

دور المسجد: يعد المسجد "بيتا للصلاة ومظهرا لهيبة السلطة الدينية والمدنية فمنذ عهد الرسول كانت الروضة في مسجد المدينة مكانا لاستقبال الصحابة وإدارة الدولة، كذلك كان الجامع الكبير في دمشق مقرا للخليفة بل دارا للحكم، توسع خارج الجامع مما نرى آثاره واضحة حتى يومنا هذا".[4]

كانت ولا تزال المساجد منابر لنشر العلم، فمسجد "القيروان جامعة للتعليم كما هو الأزهر والزيتونة بل إن جميع المساجد كانت مدارس لتعليم الفقه والقرآن ومقرا للعلماء والمنقطعين إلى البحث".[5]

كما يلعب المسجد دورا اجتماعيا فعندما نقرأ كتب الرحالة المسلمين أمثال المقدسي وابن جبير وابن بطوطة نلاحظ أنهم كانوا إذا نزلوا بلدا لا يعرفونه اتجهوا إلى المسجد، وهناك يلتقون بالغرباء من أمثالهم فيتبادلون الحديث ويأخذون فكرة عن جوانب الإقامة في

---

[1]- المساجد، ص 120.
[2]- العمارة العربية الإسلامية، ص 76.
[3]- ينظر المساجد، ص 68.
[4]- العمارة العربية الإسلامية (الجمالية والوحدة والتنوع)، ص 61.
[5]- المرجع السابق، ص 61.

ذلك البلد، ويتعرفون فيه على أهل البلد والذين يستضيفونهم في أغلب الأحيان ويعرفونهم بكبيرهم سواء كان شيخا أو قاضيا أو غير ذلك وربما وجدوا له عملا وقد يصل الأمر بهم إلى حد مصاهرته.[1]

ب- المدارس: لقد صنفنا المدارس في قسم المنشآت الدينية لسببين: أولهما أن المدارس كانت تابعة للمساجد، في العهد السلجوقي تطور المسجد وأصبح يضم مرافق أخرى مثل المدرسة أو الزاوية أو المدفن.

والسبب الثاني هو أن المدارس الإسلامية بالرغم من تدريسها العلوم العقلية إلا أن اهتمامها انصب وبالدرجة الأولى على تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لطلابها وبتعليمهم بعض العلوم النقلية مثل الفقه وأصوله.

إن النشأة الأولى للمدارس في الإسلام كانت في "أواخر القرن الرابع وعرفت جيدا في الخامس والسادس ونقصد بالمدارس تلك الدور المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم، وتذر عليهم المعاليم والأرزاق و يتولى تدريسهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين و العلماء وهم موسع عليهم في الرزق، يُختارون بحسب شروط الواقف ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للدعوة إليه، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الآلهية والبشرية".[2]

ففي فجر الإسلام كان التعليم واحدا من الوظائف العديدة التابعة للمسجد ومع منتصف القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري الموافق لمنتصف القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر ميلادي شرع في بناء المدارس المستقلة وأول مدرسة بنيت مستقلة عن المسجد هي مدرسة حسان القرشي الأموي بنيسابور (ت 349هـ/960م)، ومدرسة ابن حيان التميمي.[3]

إن المدارس من "أهم المستحدثات المعمارية التي أتحف بها السلاجقة عالم الإسلام والحقيقة أنه إذا كانت المدرسة كمؤسسة للتعليم قد عرفت في إقليم خرسان اعتبارا من

---

[1]- ينظر المساجد، ص 33-34.
[2]- خطط الشام، محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق، ط2، د.ت، ج6، ص 67.
[3]-تخطيط المدن (العمارة والزخرفة)، ص 91.

القرن 4 هـ/10م، فإن الفضل يرجع إلى الوزير نظام الملك (ت485هـ/1092م) في نشر المدرسة كمؤسسة حكومية لا تكتفي بتقديم العلم فقط، بل تهيئ لطلابها أيضا المأكل والمسكن كما تهيئ – إلى جانب ذلك– لمدرسيها الذين أصبحوا موظفين رسميين الرواتب الشهرية من نقدية وعينية، فعلى هذا الأساس بنى النظام الملك المدارس في مدن المشرق في نيسابور وطوس وبغداد وكان يهدف من ذلك إلى نشر المذهب الشافعي، الأمر الذي يعني في الوقت مقاومة انتشار مذاهب الباطنية من الإسماعيلية المتطرفين في البلاد".[1]

لقد سعت المدارس النظامية التي كانت منتشرة في كل من نيسابور وبغداد والبصرة والموصل واصفهان وغيرها من المدن إلى تحقيق حملة دعائية مضادة للمذهب الشيعي وللأسف أن كل هذه المدارس اندثرت مع مرور الزمن وبقيت عمارتها مجهولة بالنسبة لنا.[2]

وإلى جانب المدرسة النظامية في بغداد نجد المدرسة المستنصرية التي تعد أول جامعة إسلامية كبرى في العالم، وهي تقع في الجانب الشرقي من بغداد وقد بناها المستنصر بالله العباسي وقد افتتحت سنة 631هـ وكان يدرس فيها التفسير وعلوم القرآن والحديث والطب والرياضيات والفلك، كما كان الفقه يدرس على المذاهب الأربعة وأصبحت هذه المدرسة نموذجا لبناء كل المدارس الأخرى وكانت تضم أربعة أواوين ومسجد، زخرفت أوانيها بزخارف آجرية وكانت لمدرسة الطب بناية مستقلة لوحدها تقابل باب المدرسة الرئيسي وقد وضعت ساعة عجيبة فوق إيوان مدرسة الطب.[3]

كما يظهر جليا أن ترتيب المدارس الشامية على اختلاف أشكاله يبقى متقاربا فهي مؤلفة من قاعات للتدريس وحجرات للأساتذة والطلاب ومن مصلى وميضآت وقد تتضمن مدفنا مقبيا لمنشئ المدرسة، كما تتضمن إيوانا لممارسة التدريس في الهواء الطلق أيام الصيف".[4]

---

[1]- العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص 411-412.

[2]- ينظر القيم الجمالية في العمارة الإسلامية (تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى)، د/ ثروت عكاشة، دار الشروق، ط1، 1994م، القاهرة وبيروت، ص 140.

[3]- ينظر المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها، ص95-96.

[4]- جمالية الفن العربي،عفيف البهنسي1979 ص 141-142.

لقد انتشرت في الشام المدارس ذات الشكل الصليبي حيث تنفتح أربعة أواوين على الصحن ثم انتقل هذا الشكل إلى مدارس مصر والتي كانت أغلبها في الأصل مساكن خاصة وهذا الشكل كان يساعد على تدريس الفقه حسب المذاهب الأربعة.[1]

إن أهم ما يميز المدارس الكبرى في القاهرة إبان القرن 13 و14 الفناء المكشوف ولعل ذلك راجع إلى مناخها وقد وافقت تصميماتها تصميمات المدارس في تركيا وإيران خلال القرن 11 و12 إلا أنها كانت في الحقيقة مسجدا لذلك وجه الإيوان الأكبر ناحية القبلة أما في الأناضول وإيران كانت المدارس تبنى بجوار المسجد ويوجه المسجد وحده باتجاه القبلة.[2]

ثانيا: المنشآت المدنية

مع ظهور الإسلام ظهرت أنواع جديدة من المنشآت المدنية، أما المنشآت التي كانت موجودة سابقا أصبح لها طابع خاص يميزها عن غيرها ومن هذه المنشآت نذكر:

أ- القصور: لقد تفنن المسلمون في بناء القصور وزخرفتها ووصل هذا النوع من المنشآت إلى أوج ازدهاره في العصر الأموي والعباسي، حيث شيدت القصور في المدن من أجل سكن الحكام والأمراء وإدارة شؤون البلاد، كما بينت في البوادي من أجل التسلية والترفيه عن النفس.

ففي بادية الشام توجد العديد من القصور الأموية التي كان يرتادها الحكام والأمراء للتسلية والراحة خلاصة أوقات القنص.[3]

ومن قصور الأموية نذكر قصر مشتى وهو أحد القصور العربية التي بناها الأمويون لحماية القوافل التجارية، يقع القصر جنوب شرق مدينة عمان، بناه الخليفة الأموي الوليد بن يزيد عام 744م.[4]

ومساحة قصر مشتى واسعة إذ يبلغ طول ضلعه 144 م ويدعم أسواره خمسة وعشرون برجا، وينفتح مدخله في الجنوب ويجتاز الداخل عبر قسم معماري يشكل

---

[1]- ينظر ،جمالية الفن العربي ، ص 142.
[2]- ينظر ،القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص 141.
[3]- ينظر ،العمارة العربية (الجمالية والوحدة والتنوع)، ص 164.
[4]- تاريخ العمارة بين القديم والحديث، ص 170.

المدخل، تحيط به قاعتان، وينفتح بعد المدخل صحن مربع وفي ضلعه الشمالي واجهة قسم معماري وهو القصر.[1]

يتميز قصر مشتى بزخارفه الدقيقة التي تواجدت على الواجهة الحجرية له، وهي تبدو وكأنها محفورة في الجص وتضم أشكالا نباتية وحيوانية وآدمية ولقد نقلت هذه الزخارف سنة 1904م إلى برلين وتعرض في قاعة الفن الإسلامي التابعة لمتحف برغامون.[2]

نجد عموما أن القصور الأموية تقوم وفق مخطط متشابه وشكل معماري موحد ويقوم على مبدأ السور المحيط والصحن الداخلي الذي تشرق عليه أروقة تعبقها غرف في طابق أو طابقين ويأخذ السور الخارجي طابعا حصينا بعيدا عن الفتحات والزخارف ومع ذلك فإن الأبراج لم تكن ضرورية لوظيفة الدفاع والتحصين إذ أن البادية كانت آمنة دائما بل أن سكانها كانوا موالين وأنصارا للأمويين الذين مازالوا يحنون للحياة البدوية.[3]

ب- البيوت: يتجلى وبوضوح اهتمام العرب "بصفة عامة بفن العمارة، وأعطوا لمساكنهم وقصورهم ومساجدهم طابعا عربيا إسلاميا مميزا من حيث الشكل والوظيفة لما للمساكن من تأثير عميق على السكان وانعكاس إيجابي أو سلبي على نمط المعيشة عند الأسرة العربية، ويعتبر المسكن من أهم العوامل التي لها تأثير كبير على نمو الأسرة وتطورها في كل المجتمعات الشرقية والغربية"[4]

وقد صممت المساكن العربية الإسلامية وما يتلاءم مع المناخ والمحيط البيئي والعادات والتقاليد الإسلامية، كما كانت تُتَرجم وبوضوح الحالة الاقتصادية لكل عصر من عصور الإسلام التي تنتمي إليها فكانت بسيطة وخالية من عنصر الزخرفة في عصر الخلفاء الراشدين فكانت تبرز سياسة التقشف والزهد وتوجيه المال إلى أغراض أولى من الزخرفة في منازل مثل تجنيد الجيش والإنفاق وعليه وذلك لغرض فتح البلدان ونشر

---

[1]- العمارة العربية (الجمالية والوحدة والتنوع)، ص 164.
[2]- ينظر، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، ص 171.
[3]- جمالية الفن العربي، ص 132.
[4]- العمارة العربية الإسلامية، ص 58-59.

الإسلام، وفي العصر الأموي والعباسي تطورت العمارة وأدخلت عليها عدة فنون زادت من جمالها ورونقها.[1]

يشبه البيت الإسلامي المسكن القديم في بلاد الرافدين فهو يشمل غرفا تحيط بصحن المكشوف قد يتكون من دور أرضي وآخر علوي، أو قد يكتفي بدور أرضي فقط، كانت البيوت بسيطة من الخارج ولم يكن لها نوافذ وفجوات تطل على الشارع إلا قليلا وإن وجدت تكون ضيقة وجلستها مرتفعة حتى تحفظ للنساء المسلمات حجابهن أما البيت من الداخل فقد كان مزخرفا بزخارف منوعة وكانت تكثر فيه النوافذ المطلة على الصحن من أجل الإنارة والتهوية.[2]

لقد انقسمت الدور في عهد المماليك إلى ثلاثة أقسام هي كالآتي:

دور العامة وهي دور الطبقة البسيطة من الشعب وتتكون من صحن مركزي تحيط به الغرف من كل جوانبه ولا يوجد بها طوابق علوية وهي تشبه الوكالات، أما دور الطبقة الوسطى فهي عبارة عن مجموعة من الحجرات تحيط بفناء مكشوف، ويمكن أن تحتوي هذه الدور طبقة عليا تخصص للحريم، وعن دور الطبقة الراقية فهي بمثابة القصور وكانت في العادة تخصص الطابق العلوي للحريم كما كانت تحوي قاعة تطل على مقصورة الفناء الداخلي حيث حجرة الاستقبال التي عرفت باسم المنظرة وكانت هذه الدور فخمة ومزخرفة تشبه المساجد في زخرفتها، فقد غلفت حيطانها بالرخام كما استخدمت أشكال العقود، أما الأسقف فكانت من الخشب المحفور وكانت الأرضيات في كل من مصر والشام ذات نماذج هندسية من الفسيفساء.[3]

وتصنف البيوت العربية إلى خمس قطاعات حسب طبيعة المناخ وهي القطاع العراقي الخليجي والقطاع اليمني والقطاع الشامي والقطاع المصري والقطاع المغربي.[4]

وللتعريف أكثر عن عمارة البيوت العربية سنتحدث عن المنزل المصري الذي يعرف بمنزل الكريديلية بميدان أحمد بن طولون ولقد أنشأ هذا المنزل الحاج محمد سالم

[1]- ينظر،العمارة العربية الاسلامية ، ص 59.
[2]- ينظر ،العمارة عبر التاريخ، ص 172.
[3]- ينظر، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص 482-483.
[4]- ينظر، العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، ص 69.

ابن جلمام الجزار وكان ذلك سنة 1631م ويحتوي على مقعد يشرف على الحوش وقاعات علوية، ويمتاز هذا البيت عن باقي المنازل في وقته أن واجهاته المطلة على الحوش تشمل على مجموعة من العقود متنوعة الأشكال والمقنصات كما يوجد بناصيته الشرقية القبلية سبيل جعله ينفرد عن باقي الدور والمنازل وقتها.[1]

ثالثا: المنشآت الحربية

إن الفتوح الإسلامية التي كانت تتوسع من الشرق إلى كل أنحاء العالم دفعت المسلمين إلى إقامة العمائر الحربية لتكون إما معسكرات يقيم فيها الجنود المسلمون أو مراكز حربية للدفاع عن الأراضي الإسلامية من الخطر الخارجي، ولقد كان كل من هذه العمائر يكمل الآخر وقد تراوحت العمارة العسكرية بين ما بناها المسلمين أنفسهم وما ورثوها عن الأمم الأخرى، وقاموا بترميمها وإعادة صيانتها وقد أخذت العمارة الحربية أشكالا مختلفة نذكر منها:

أ- القلاع: لعل أكثر قلعة عربية إسلامية تحظى بشهرة كبيرة هي "قلعة الجبل التي أمر بإنشائها صلاح الدين من منطقتين المنطقة الشمالية مستطيلة الشكل ولها أبراج بارزة وتنفصل عن الجنوبية بسور ذي أبراج طوله 150م وتتضمن المنطقة الجنوبية قصورا أو بيوتا وإسطبلات وثمة حصن منيع فيه بئر عميق متصل بالسبيل".[2]

ب- الرباطات: وهي منشآت دفاعية كثرت على السواحل وكانت مواقعها مدروسة، غلب عليها الطابع الديني وكانت أغلبها تُمول من الأوقاف والحِمى والتي هي عبارة عن أراضي زراعية مهملة.[3]

وكانت الرباطات تشبه في هندسة بناءها القصور الشامية ولعل مهندسا من الشام أشرف على تشييدها.[4]

وفي تونس توجد عدة رباطات أشهرها رباط سوسة والذي يعرف أيضا بقصر الرباط وقد بناه إبراهيم ابن الأغلب سنة 821م وشكل بناءه المحصن مربع في سوره

[1]- ينظر، بين الآثار الإسلامية، ص 23.
[2]- العمارة العربية (الجمالية والوحدة والتنوع)، ص 190.
[3]- ينظر، تخطيط المدن (العمارة والزخرفة)، ص 48.
[4]- العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، ص 140.

الخارجي ثمانية أبراج واحد في كل زاوية من زوايا المربع، وفي منتصف كل ضلع يوجد واحد وكل أبراجه نصف دائرية إذا استثنينا برج المدخل في الجدار الجنوبي وبرج الركن الجنوبي الشرقي فشكلهما قريب من المستطيل وعلى الجوانب الشمالية والشرقية والغربية للفناء يوجد سقيفات ذات عقود تحملها دعائم وكل سقيفة مغطاة بأقبية نصف أسطوانية وخلف السقيفات غرف وكانت الغرف الواقعة في جهة القبلة مسجدا.[1]

المبحث الثاني: خصائص العمارة الإسلامية

تختص العمارة العربية الإسلامية ببعض الخصائص التي تميزها عن باقي عمارات الحضارات الأخرى نذكر منها:

الفناء (الصحن): وهو الفراغ المكشوف المحدد بواسطة حوائط وظهرت هذه الفراغات في أبنية وادي الرافدين ومصر، وظهر لأول مرة في الإسلام في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وشاع استعماله في المساجد التي بنيت في جميع العصور الإسلامية ويتراوح شكل الفناء بين المربع والمستطيل، وزاد اتساعه في عصور بني أمية وبني العباس ليتسع لعدد كبير من المصلين وليخفف من درجات حرارة الجو، ودخول التيارات الهوائية الباردة، والفناء هو قلب المبنى حيث تطل عليه الحجرات من جميع جهاته بزخارفها ذات الألوان حول الفتوحات والأبواب.[2]

الإيوان: وهو الغرفة العالية السقف، يبلغ ارتفاعه ضعفي ارتفاع سقف الغرفة، وينفتح هذا الإيواء كليا على الصحن يزينه من الأعلى قوس كبير مزخرف.[3]

ويمثل الإيوان "محطة انتقال بين الغرف الجانبية إلى فضاء عائلي خاص، وبين الفناء الوسطي كفضاء عائلي عام، ويكون الإيوان عادة مربع الشكل وعقدته بيضوية".[4]

وتستخدم الأواوين أيضا للقيلولة في حالة عدن توفر السرداب، وقد يضم البيت الواحد أكثر من إيوان كدار الإمارة في الكوفة، كما استخدمت الأواوين لجلوس الأمراء والعامة

---

[1]- ينظر، المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها، ص54-55.
[2]- ينظر، تاريخ الحضارة الإسلامية، محمد عبد القادر خريسات، مؤسسة حماة، الأردن، ط1، ص 305.
[3]- جمالية الفن العربي، ص 139.
[4]- العمارة العربية الإسلامية، ص 63.

واستقبال الضيوف، وكانت البيوت التي تحتوي على إيوان لها مكانتها ومنزلتها العالية، واستخدمت الأواوين بعد ذلك في المساجد والقصور والمدارس[1].

الأروقة: الرواق هو ممر مكشوف الوجه، سقفه محمول على مجموعة من الأعمدة من جهة تعلوها عقود، وتأتي الأروقة في مقدمة الأواوين أو الحجر في الطابق الأرضي أو أمام الغرف في الطابق العلوي، وقد تحيط الأروقة بالصحن من جهة أو جهتين أو من كل جهاته، وتستخدم الأروقة لتظلل من شمس الصيف الحارة ومن أمطار الشتاء، وقد عرف العرب الأروقة منذ القدم ثم استحدث استخدامها في دار الإمارة في الكوفة لأول مرة وقد كانت منتشرة جدا في العمارة العباسية.[2]

السرداب: "يقام السرداب عادة تحت مستوى أرضية الدار، أي بمستوى منخفض عنه في الجهة الجنوبية تقريبا من الدار، وقد استطاع المعماري العربي المسلم ابتكار هذا الملحق للتغلب على موجات الحر الشديد، وارتفاع الحرارة في الصيف نتيجة لتجاربه الطويلة التي تمكن من خلالها توفير الجو المناسب لساكني الدار، واستخدم في بعض السراديب المنافذ الهوائية للحصول على النور والهواء".[3]

القباب: إن استخدام القباب تقليد محلي قديم يرجع إلى حضارة بلاد الرافدين، ولقد جاء كضرورة حتمية لمشكلة الجو الحار حيث كان من الضروري أن تكون الأسقف عالية حتى توفر نوعا من برودة الجو، ولكن بلاد الرافدين كانت تعاني من مشكلة أخرى هي ندرة الأحجار الكبيرة التي تساعد على بناء الأسقف العالية، فظهرت القباب كحل لهذا المشكل وبعد ذلك تبنتها الحضارة العربية الإسلامية في عمائرها خاصة المساجد والمدارس والأضرحة.[4]

وتعتبر قبة الصخرة أول قبة بنيت في الإسلام وقد بناها عبد الملك بن مروان سنة 692م، أما قبة الأخيصرفهي أقدم قبة شيدت في العصر العباسي، كما تعد قبة المحراب في جامع القيروان في تونس من أقدم القباب الإسلامية في المغرب العربي، وقد تباينت

[1]- ينظر، العمارة العربية الاسلامية، ص 64.
[2]- ينظر، نفس المرجع السابق، ص 65.
[3]- المرجع السابق، ص 66.
[4]- ينظر، جمالية الفن العربي، ص 131-132.

أشكال القباب فمنها القباب المضلعة كقبة السيدة رقية، والقباب الكروية مثل التي وجدت في جامع الحاكم والأزهر، ونصف الكروية والبيضوية التي ظهرت في مصر في عهد المماليك والقباب المخروطية المقرنصة من الداخل والتي انتشرت في العراق إبان العصر السلجوقي وأجملها هي قبة زمرد خاتون، كما ظهرت في عصر المغول القباب البصلية، وانتشرت القباب نصف الكروية في العصر العثماني وأفضل مثال عنها قباب جامع السلطان أحمد الكبير في إسطنبول بتركيا.[1]

الأعمدة: إن الشيئين الذين يميزان الأعمدة هما شكل العمود وتاجه و"للتاج العربي نموذجان أولهما بشكل "ناقوس" والآخر بهيئة مقرنص" ومع ذلك فقد يُرى في العمارات العربية أحيانا كثيرة من التيجان الكورنثية البيزنطية أو غيرها من الأشكال البيزنطية، أما الأعمدة التي ترى في أقدم البيانات عهدا فهي بلا شك مأخوذة من العمارات القديمة التي بنيت في العصر البيزنطي".[2]

العقود: "لقد عرف العرب المسلمون أنواعا عديدة من العقود المختلفة في أشكالها وأساليبها، ويعد العقد المدبب ابتكارا معماريا عربيا إسلاميا، وهو على نوعين: العقد ذي المراكز الأربعة، والعقد ذي المركزين فالأول ظهر لأول مرة في باب بغداد في مدينة الرقعة في سوريا سنة 722م، وفي مدينة الأخيضر في كربلاء في العراق حوالي سنة 778م، وفي باب العامة في سامراء في العراق، وفي جميع البائكات في جامع أبي دلف، أما العقد المدبب ذو المركزين فقد ظهر في الجامع الأموي بدمشق، وفي جامع ابن طولون في مصر".[3]

[1]- ينظر، العمارة العربية الإسلامية، ص 74-75.
[2]- العمارة العربية بمصر (في شرح الميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي)، والفرد جوزيف دللي ترجمة محمود أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2000، ص 60.
[3]- العمارة العربية الإسلامية، ص 69.

المبحث الثالث: العوامل التي ساعدت في ازدهار العمارة العربية الإسلامية

إن ازدهار العمارة العربية الاسلامية كان نتيجة اجتماع بعض العوامل أهمها:

تطور العلوم: لقد ساهم تطور العلم وازدهاره إسهاما كبيرا في تطور فن العمارة ومن هذه العلوم علم الهندسة الذي انقسم إلى هندسة نظرية وأخرى تطبيقية، "وخلاصة القول أن علماء العرب والمسلمين لم يضيفوا إلى الهندسة النظرية التي ورثوها عن اليونان إلا القليل، ولكنهم درسوها وعلقوا عليها لأنهم وجدوا فيها تلازما منطقيا، فمن مسلمات وفرضيات يصل المرء إلى نظريات هندسية جديدة، أما الهندسة التطبيقية فإن علماء العرب والمسلمين لهم باع طويل في هذا المجال، ويظهر ذلك من مصنفاتهم التي تسودها المسحة العلمية التطبيقية ولذا نجد أنهم طبقوا نظريات الهندسة التطبيقية في مجالات الصناعة والعمران والفنون والبناء.[1]

كما اهتم العرب بعلم الجيولوجيا فنجد زكريا القزويني الذي تحدث عن الزلازل والمياه الجوفية وغيرها من المواضع في كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)، كما تكلم عن كروية الأرض وتكوين بعض المعادن مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والكبريت والزئبق وغيره، إلى جانب هذا العالِم نجد قائمة أخرى طويلة من العلماء الذين بحثوا في نفس المجال منهم: الرازي والكندي والمقدسي وأبو القاسم الزمخشري والشريف الإدريسي....[2]

كما عرف العرب عرف علم الحيل ويقصد بعلم الحيل علم الآلات الميكانيكية والأجهزة الأوتوماتكية وقد "قسم الشيخ الخوارزمي كتاب علم الحيل إلى قسمين:

الأول: في جر الأثقال بالقوة اليسيرة وآلاته، فقد كان للعرب آلات متعددة التصاميم بنوها على أسس ميكانيكية تسهل جر الأثقال بقوة يسيرة، ومن الآلات التي كانوا يستعملونها والتي ذكرها الخوارزمي هي: البرطيس، المخل، البيرم، الكثيرة الرفع، والأسفين اللولب، الخنزيرة، الأسطام، وغيرها.

---

[1]- روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، د/ علي عبد الله الدفاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 71.

[2]- ينظر، الحضارة العربية الإسلامية في النظم والفنون، ص 251.

الثاني: في آلات الحركات وصنعة الأواني العجيبة" [1]

لقد اهتم المعماريون العرب بعامل الضوء بما له من دور فعال في إبراز جمال العمران، قد اهتم العلماء العرب منذ القدم بعلم البصريات والضوء الذي أخذوه عن اليونان وطوروا فيه، وكان رائده الذي وضعه في منهاج صحيح وأضاف إليه بحوثا واكتشافات عديدة ،العلامة بن الهيثم الذي استعمل الهندسة التطبيقية "لتعيين نقطة الانعكاس في المرايا الكروية والأسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة.[2]

وإلى جانب ما ذكرنا من العلوم عرف العرب الحساب وعلم المثلثات وغيرها من العلوم التي برعوا فيها.

الاستفادة من حجارة ومواد بناء الأطلال السابقة: لقد وفر وجود حجارة ومواد بناء الأطلال المهدومة على المسلمين المال والجهد، لكن هذا لا يعمم على كل المباني الإسلامية ومن المباني التي استفاد المسلمون من الأطلال المتبقية لبنائها الجامع الأموي بدمشق والذي يعد أحد روائع المباني الإسلامية، وقد أنشأ هذا المسجد على رقعة خالية، كانت تحيط بهيكل كنيسة يوحنا واتفق الوليد بن عبد الملك مع الكهنة وطلب منهم الاستفادة من الأطلال المحيطة بالهيكل مقابل أن يبني لهم كنائس جديدة فوافقوا على مطلبه.[3]

الوازع الديني: والمتمثل في الرغبة في إتقان العمل الذي دعا إليه ديننا الإسلامي الحنيف.فقد روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه).[4]

اهتمام الحكام والخلفاء بالمعمار والإنفاق عليه وكانوا يتباهون بالمنشآت التي يشرفون على إنشائها ونظر مثالا عن ذلك المدرسة ومسجد السلطان حسن والذي أمر ببنائها السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون وقد كان السلطان حسن يتباهى بإيوانها الكبير على أنه أعلى من عقد "طاق كسرى".[5]

---

[1]- الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، ص 247.
[2]- روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ص 70.
[3]- ينظر، العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، ص 157.
[4]المطالب العالية ، أحمد ابن علي ابن محمد ابن على المعروف بابن حجر العسقلاني ، رقم 1388
[5] ينظر القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، 211..

الفصل الثاني:

الاندلس بعد الفتح الاسلامي.

المبحث الاول: الفتح الاسلامي لبلاد الاندلس ومراحله.

المبحث الثاني: العمران في المدينة الاندلسية.

المبحث الأول: الفتح الاسلامي لبلاد الأندلس

ارتأينا قبل أن نتحدث عن الفتح الإسلامي للأندلس أن نتعرف عن الأندلس أولا.

وكلمة الأندلس ليست كلمة "عربية لقد اشتقها العرب من كلمة فاند الوسيا، وهو اسم مأخوذ من قبائل الفاندال الجرمانية التي استقرت في تلك المناطق الجنوبية من إسبانيا بعد هجرة طويلة من سواحل بحر الشمال وأعطت اسمها إلى تلك البقاع قبل أن يطردها القوط من هناك فتنتقل إلى شمالي إفريقيا حيث أقامت دولة هزمها البيزنطيون فذابت مع أهلها في الخليط السكاني البربري-الروماني الفينيقي الموجود يوم ذاك في تلك البقاع".[1]

لقد أطلق العرب اسم الأندلس في البداية على شبه الجزيرة الأيبيرية بما فيها إسبانيا الإسلامية في الوقت الذي كانوا يسيطرون فيه عليها كلها ولكن مع تقلص الرقعة الجغرافية التي فتحها المسلمون في إسبانيا بفعل الأوضاع السياسية أخذ هذا الاسم يقتصر على المناطق التابعة لدولة الإسلام فقط حتى أصبح يطلق فقط على مملكة غرناطة لوحدها.[2]

وتقع شبه جزيرة أيبيريا في جنوب غرب أوربا، ويحدها من الشرق البحر المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي، ويفصلها عن فرنسا شمالا سلسلة جبال "البُرت" أو "البرتات" التي تتخللها ممرات ومضايق تصل بين البلدين مثل ممر "هندايا" في الغرب، وممر "قطالونيا" في الشرق وعلى الرغم من وجود هذه الممرات إلا أن جبال البرتات قد جعلت إسبانيا في شبه عزلة عن بقية أوربا، ولقد استغل المسلمون طبيعتها هذه من أجل تكوين شبكة دفاعية قوية، فبنو المدن التي كانت بمثابة القواعد العسكرية على الوديان والأنهار مثل مدينة سرقسطة وطليطلة وقرطبة وإشبيلية وغيرها من المدن. كما أن مضيق جبل طارق، أو كما كان يدعى الجبل المجوف مركز هام ويرجع ذلك لقربه من بلاد المغرب حيث لا يفصله عن المغرب سوى 15 كلم فكان مركزا للانتشار العسكري والثقافي والاقتصادي.[3]

---

[1]- الأندلس في التاريخ، شاكر مصطفى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1990، ص 6.
[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 06.
[3]-ينظر، في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط 1992، ص 17-21.

1 . حملة طارق بن زياد:*

أ. أسباب الفتح:

حدث إبان الفتح العربي للمغرب أن لذريق Rodrigo دوق باطقة وحاكمها بقرطبة، عرش القوط بإسبانيا من أبناء غيطشة وأثار ذلك نقمة أنصار غيطشة وأبناءه عليه فهبوا ضد هذا المغتصب الذي انتزع الملك من البيت الشرعي لنفسه، وظهرت حركة استقلالية في أطراف البلاد ظلت مستمرة حتى دخول المسلمين أرض الأندلس، واشتعلت نيران الثورات في طليطلة وغيرها، وتعذر على "وقلة" أن يتوجه إلى العاصمة بعد وفاة أبيه غيطشة، وحاول "وقلة" أن يسترد عرشه فأخذ جيشا بقيادة عمه ووصيه "رخشندش" فأسرع لذريق بالسير على رأس جيش كثيف، واشتبك مع جيش "رخشندش" وهزمه في موقعة كبرى قتل فيها الوصي وتفرق أتباعه، أما وقلة فقد فر إلى إفريقية بعد ذلك وأقام عند "يوليان" حاكم سبتة، وكان ما يزال على ولائه للملك غيطشة. وأمعن لذريق في مطاردة أنصار وقلة بالأذى ففروا من إسبانيا والتمسوا سبل النجاة إلى أقصى الشمال أو سبتة، ولاذوا بحماية يوليان الذي كان مخاصماً للذريق، وبمساعدة يوليان نجح هؤلاء اللاجئون في الاتصال بالعرب، وحثوهم على فتح الأندلس أملا في استرداد العرش لأميرهم وقلة، اعتقادا منهم أن العرب الطارقين للأندلس لمساعدتهم لن يكونوا في حاجة إلى استيطانه بعد افتتاحهم له، وأن مرادهم الحصول على الغنائم ثم يتركوها لأصحابها.[1]

ويعتقد "ساغِدرا" أن يوليان كان يمت بصلة القرابة والنسب لأسرة غيطشة، ولكن يوليان فيما يظهر لم يشأ أن يعلن عداوة للذريق مرة واحدة حتى لا ينقلب عليه فتظاهر بولائه له حتى لا تنقطع إمدادات القوط منه، وكان يضمر في قرارة نفسه الكيد له، وفي أثناء ذلك زعموا أن حادثا وقع وقتئذ عجل بالفتح، وكان عاملا على إقدام يوليان على طلب العون من العرب في حماس غريب، فلقد كان ليوليان ابنة على حظ كبير من الجمال اسمها "فلورندا" وكان قد بعثها – شأنها في ذلك شأن غيرها من بنات الأمراء والنبلاء إلى بلاد الملك بطليطلة للتأدب بآداب الملوك، فوقعت موقعا حسنا في عيني الملك، ويقال أنه

* طارق بن زياد الليثي بالولاء (50-105هـ)، أصله من البربر وفي الرواية العربية خلاف حول ما إذا كان قام بغزو الأندلس بمبادرة منه أو بناء على أمر موسى بن نصير الذي كان قد ولاه طنجة في سنة 89هـ. تاريخ افتتاح الأندلس، أبو بكر بن القوطية، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1989، ص 25.

[1]- ينتظر: تاريخ المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1981، ج2، ص 263-265.

استكرهها على نفسها، فأبلغت الفتاة أباها سرا بما أصابها فغضب يوليان وعزم على الانتقام، ورأى أن لا عقوبة له إلا إذا أدخل عليه العرب، فبعث إلى طارق قائلا "إني مُدخلك الأندلس".[1]

وقد بعث يوليان حاكم سبتة رسالة إلى موسى بن نصير يعرض عليه مشاركته في فتح إسبانيا، ويُرغبه في الغنائم التي قد يحصل عليها من وراء هذا الفتح، فحينما وصلته رسالة يوليان وجد الفرصة سانحة لتوسيع ملك الإسلام فيما وراء البحر، ومهما يكن من أمر فقد قابل موسى يوليان ولا يعرف بالضبط ما الذي دار في هذه المقابلة، ولكن يفهم من سير الأحداث أنهما اتفقا على غزو إسبانيا، وتعهد يوليان بتقديم السفن والأدلاء وكل مساعدة ممكنة. ولما اقتنع موسى بهذا المشروع الكبير، كتب إلى الوليد بن عبد الملك* يستأذنه في فتح إسبانيا، فكتب إليه الوليد أن يخبره بالسرايا وأن لا يزج بالمسلمين إلى أهوال البحر، ونزل موسى على نصح الخليفة في اختبار الفتح الجديد.[2]

وتنفيذا لأوامر الخليفة، قام موسى بن نصير، بعدة غارات استكشافية، على جنوب إسبانيا لجس النبض، فاستدعى في بادئ الأمر حليفه ومحرضه على غزو إسبانيا الكونت يوليان حاكم سبتة وقال له "إننا لا نشك في قولك ولا نرتاب غير أننا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها وبيننا وبينها البحر، وبينك وبين ملكك لذريق حمية الجاهلية واتفاق الدين، فجُرّ إليه بنفسك، وشُن الغارة على بلاده، واقطع ما بينك وبينه إذ ذاك تطيب النفس عليك، ونحن من ورائك إن شاء الله". فانصرف يوليان وحشد جيوشه وجاز في مركبين إلى الأندلس، وشن الغارة على الساحل الجنوبي، فسَبَا وقتل وغنم ورجع وقد امتلأت أيديهم خيرا، وشاع في كل قطر فتحمس الناس للغزو.[3]

وفي سنة 91هـ/710م، أرسلت حملة صغيرة قوامها أربعمئة رجل بقيادة قائد بربري يدعى "طريف بن ملوك أمالك" ويكنى بأبي زرعة، ونزلت هذه الحملة في أقصى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة في موضع بنيت فيه بعد ذلك مدينة صغيرة أخذت اسمه

---

[1]- ينظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1988، ص 67-68.

* الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس من الخلفاء الأمويين ولد في سنة 48هـ وتولى الخلافة في سنة 86هـ، وكان مولعا بالبناء توفي في دمشق في سنة 96هـ. تاريخ افتتاح الأندلس، ص 21.

[2]- ينظر: تاريخ المغرب والأندلس، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998، ص 36-37.

[3]- ينظر، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 14-15.

وظلت تدعى إلى اليوم بجزيرة طريف.[1] "فأغار طريف وجنوده على المناطق التي تليها إلى جهة الجزيرة وأصاب صيبا ومالا كثيرا، فتبين لموسى أن ما قاله يوليان عن ضعف المقاومة الإسبانية كان صحيحا، فبعث جيشا كبيرا من سبعة آلاف محارب لغزو الأندلس بقيادة قائده طارق بن زياد نائبه على طنجة".[2]

ب. انتصار طارق بن زياد في موقعة وادي لكة:

❖ **المرحلة الأولى:** "اختار موسى بن نصير على الحملة التي أعدها لفتح الأندلس قائدا من القواد المشهورين بحسن القيادة والبلاء وهو مولاه طارق بن زياد، وقد اختلف مؤرخو العرب في أصله أمثال المقري وغيرهم، فذهب بعضهم إلى أنه كان فارسيا همذانيا، وذهب آخرون إلى أنه كان بربريا، ومنهم من قال بأنه كان عربيا من منطقة صرف وأصح الآراء القائل بأنه كان بربريا، وكان طارق بن زياد جنديا شجاعا وقائدا بارعا".[3]

وقد فطن موسى إلى مواهب طارق بن زياد، وكان موسى بن نصير يثق بطارق بن زياد كل الثقة بدليل أنه آثره في قيادة هذه الحملة الكبرى على أعظم قواه من العرب أمثال: طريف بن مالك والمغيرة بن أبي بردة العذري، بالإضافة أن البربر كانوا أكثر معرفة ببلاد الأندلس، فالمغرب والأندلس يؤلفان وحدة جغرافية وتاريخية في آن واحد.[4]

كان جيش طارق بن زياد يتألف من سبعة آلاف مقاتل، منهم ما يقارب من ثلاثمائة من العرب وأبحرت الحملة من ميناء طنجة بتاريخ 5 رجب سنة 92هـ/أبريل 711م، في السفن الأربعة التي كانت ملكا ليوليان، ووضعها في خدمة العرب. وأبحرت السفن بالرجال والخيل بين شاطئ الزقاق تنقل الجنود إلى جبل على شط منيع، وتجمع المسلمون عند جبل طارق أو جبل الفتح، وكان نزول الحملة الإسلامية في ذلك الوقت مناسبا للغاية إذ أن لذريق كان مشغولا آنذاك بإخماد ثورة قام بها البشكنس في "تبلونة" وزامن وصول

[1]- ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص 99.

[2]- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 15.

[3]- تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس،السيد عبد العزيز سالم،ص71

[4]- ينظر:تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،ص 72.

جيش طارق بن زياد الوقت الذي كان فيه الكثير من سكان الأندلس ساخطين على حكم لذريق الجائر.[1]

- **المرحلة الثانية:** وما كادت تتوافى حشود المسلمين بعد أن تم نزولها أدنى الجبل، حتى بادر طارق بن زياد بإنشاء قاعدة لجيشه، ومرسى يصل بينه وبين سبتة، وأقام طارق حول الجبل المسمى باسمه سورا يسمى بسور العرب ثم بعث عبد الملك ابن أبي عامر في فرقة سارت بحذاء الساحل شمالا، فاستولت على قرية حصينة تعرف بقرطاجنة، وأقام قاعدة حربية في موضع يقابل الجزيرة الخضراء، وعليه أقيمت هذه المدينة فيما بعد، وعهد طارق بن زياد إلى يوليان ومن معه من الجند بمهمة حراسة هذه القاعدة، والدفاع عنها في حالة قيام القوط بأي هجوم.[2]
- **المرحلة الثالثة:** مرحلة الانتصار: ولقد هزم طارق بن زياد القائد القوطي تدمير "ولما أدرك ولاة القوط في هذه المناطق خطر الزحف الإسلامي، وما قد يؤدي ذلك إلى زوال ملك القوط، أرسلوا إلى تيودوريك ملك القوط الذي كان في بعض الولايات الشمالية لقمع الفتن فيها ويخبروه بخطورة الموقف، فعاد الملك بسرعة إلى طليطلة وأعاد تنظيم قواته".[3]

وذكر مؤرخو العرب مثل: لسان الدين بن الخطيب وغيرهم أنهه جمع مائة ألف مقاتل وقيل سبعين ألفا ويجعل ابن خلدون في مقدمته عدد جنوده أربعين ألف، فلما علم طارق بزحف هذه الحشود الهائلة إليه، كتب إلى موسى بن نصير يستمده ويخبره في الوقت نفسه بأنه فتح الجزيرة الخضراء، وأن لذريق زحف إليه بما لا قبل له به، فأرسل إليه موسى بن نصير مددا من خمسة آلاف من المسلمين وعلى رأسهم طريف بن مالك، وأغلبهم من الفرسان وبهم كملت عدة من مع طارق إلى اثني عشر ألفا، ومعهم يوليان ورجاله وأهل عمله، ثم زحفت جيوش لذريق جنوبا بعد أن انضم إليها أبناء غيطشة وأقربائه مكرهين، وضرب لذريق معسكره عند مدينة شذونة، أما طارق فقد سار بعد افتتاحه مدينة طريف نحو الشمال قاصدا قرطبة، استمر سيره حتى أدرك نهير البرباط الذي يخترق بحيرة

[1]- ينظر: نفس المرجع السابق، ص 72-73.
[2]- ينظر: نفس المرجع السابق، ص 73.
[3]- تاريخ المغرب والأندلس، ص 38.

خاندا، ويسميه ابن القوطية القرطبي "وادي بكة"، أما الحميري وابن عذارى والمقري فيسمونه وادي لكة.

وكان لذريق قد ولي ولدي غيطشة ميمنة جيشه وميسرته غاية في استرضائهما غير أنهما قد أجمعا على الانتقام منه فعزما على خيانته، وفقا لما تم الاتفاق عليه مع يوليان والمسلمين، أما طارق بن زياد عندما علم باقتراب الحرب وقف جنوده وخطب فيهم خطبته المشهورة "أيها الجنود البحر أمامكم والعدو وراءكم فأين المفر..." وهي تعد من أروع الخطب الحماسية.[1]

والتقى الجيشان في يوم الأحد 28 من رمضان سنة 92هـ/19 يوليو سنة 711م أي بعد مضي 83 يوم من نزول المسلمين بجبل الفتح على واد لكة قرب شذونة واستمرت المعركة ما يقارب من ثمانية أيام وانتهت بهزيمة القوط هزيمة ساحقة، إذ تراجع جناح لذريق وفق الخطة المرسومة ونكص عدد كبير من قواد الملك فانكشف قلب جيشه وتنهار خط دفاعه من أساسه، واضطر إلى التراجع أمام دفع قوات طارق بن زياد ومن انظم إليها من أصحاب يوليان والمتآمرين على لذريق وانقض المسلمون على جيش القوط بالقتل ولم يرفع المسلمون عنهم السيف مدة ثلاثة أيام.

وأما فيما يخص مصير لذريق فلقد استطاع النجاة بنفسه بعد أن تجرد في خفيه من ثيابه الدالة عليه، ويبدو أن طارق لم ينتزع النصر بسهولة حيث فقد عددا كبيرا من رجاله يقرب من ثلاثة آلاف، ولم يبقى من جنوده سوى تسعة آلاف أما القوط فقد ذكر المؤرخون أن المسلمين قتلوا عددا كبيرا من جنوده.[2]

ج. زحف طارق بن زياد إلى طليطلة عاصمة القوط:

أحدث انتصار طارق بن زياد في لكة دويًا هائلا في المشرق والمغرب، وكان لابد لطارق أن يجني ثمار جهاده وانتصاره في واد لكة، قبل أن تتجمع جيوش القوط مرة أخرى.

[1]- ينظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 75-77.
[2]- ينظر: نفس المرجع السابق، ص 79-81.

فزحف طارق إلى مدينة شذونة وحاصرها حصارا شديدا ثم فتحها عنوة وغنم منها غنائم هائلة بعد ذلك إلى مُدور ثم عطف على قرمونة، ثم اتجه إلى إشبيلية ومنها زحف إلى استَجَه وكانت تمثل المركز الأول للمقاومة، إذ كانت جيوش القوط قد تجمعت هناك، فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بين المسلمين وامتنعوا داخل مدينتهم إلى أن ظفر طارق بصاحب المدينة فأرغمه على الصلح وفرض الجزية، وهكذا هبت رياح النصر على المسلمين وقذفوا أعدائهم بالرعب وكانوا يظنون طارقا راغبا في الغنم عاملا على القفول، وكان جيش طارق بن زياد قد تضخم بمن وفد إليه من أهل العدوة فنصح يوليان طارق بأن يفرق جنده في بعثات جانبية، ويمضي هو إلى طليطلة حيث احتشدت فلول القوط فيفتحها قبل أن يتدارك القوط الأمر، ويحكموا الدفاع عنها وفعل طارق بنصيحة يوليان ففرق جيوشه من استجه.[1]

وبعث وهو في طريقه سرية على رأسها رجل اسمه مغيث الرومي من أحفاده جبلة بن الأيهم الغساني الذي فتح قرطبة عاصمة المنطقة الجنوبية التي كان الرومان يدعونها باطقة.

وبعث جيشا آخر إلى مالقة قوّد عليه قائدا ودليلا من رجال يوليان كما بعث جيشا ثالثا إلى ألبيرة. أما طارق فقد سار بمعظم جنوده إلى كورة جيان في طريقه إلى طليطلة، فعبر طارق الوادي الكبير عند منجبار، وسار في طريق روماني قديم كان يعرف باسم طريف هاينبال، وهذا الطريق يمر بمدينة جيان ومنتسية ودخل طليطلة سنة 93هـ دون مقاومة تذكر فوجد طارق بن زياد المدينة خالية ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر مالكها مع أصحابه ولحق بمدينة خلف الجبل بعد أن ضم اليهود، وخلى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة، وفر بنفسه مع أصحابه، فترك طارق فرقة من جنوده في طليطلة ومضى يطارد الفارين من أهل طليطلة[2] والذين فروا هم كبار رجال القوط والقساوسة من المدينة حاملين معهم ذخائرهم ومن بينها: مذبح الكنيسة الكبرى الذي كان محلى بالذهب والجواهر فتعقبهم طارق بن زياد، وقرب قرية دعاها المسلمون بعد ذلك قلعة عبد السلام

[1]- ينظر: تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، ص82.
[2]- ينظر: نفس المرجع السابق ،ص 83.

في الطريق إلى وادي الحجارة، التقى بهم المسلمون فانتزعوا منهم ذلك المذبح الذي سماه المسلمون "مائدة سليمان" وكان يعد من أعظم غنائم الفتح.[1]

3. حملة موسى بن نصير:*

عبر موسى بن نصير مضيق جبل طارق على رأس عشرة آلاف مقاتل من العرب وثمانية آلاف من البربر في سفن صنعها خصيصا لهذا العمل، ونزل بولاية الجزيرة حيث استقبله الكونت يوليان 93هـ/712م، وبدأ موسى زحفه بالاستيلاء على مدينة شذونة ثم قرمونة وهي حصن منيع فاستولى عليها.وفتح إشبيلية بعد حصار دام شهرا، وفتح ماردة بعد عناء سنة 94هـ، والتقى موسى بطارق على مقربة من طليطلة، وتشير الرواية العربية إلى أن موسى أنّب موسى بل بعضهم يقول أن موسى زجّ طارقا في السجن، ولكنه ما لبث أن عفا عنه، ثم اشترك القائدان الكبيران سويا في مواصلة فتح ما تبقى من بلاد الأندلس، وزحفا نحو الشمال الشرقي، واخترقا ولاية أراجون واستوليا على سرقسطة ووشقة ولارده حتى بلغت شاطئ البحر الشمالي عند حدود فرنسا الجنوبية.وهكذا انتهى كل من موسى وطارق من فتوحاتهما وكانت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك قد قضت برجوعهما إلى دمشق فرجع موسى ومعه طارق بعد أن خلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير في أواخر سنة 94هـ/714م، أما ابنه عبد العزيز بن موسى ففتح الجزء الشرقي من الجزيرة، وبذلك تم فتح شبه الجزيرة إسبانيا كلها، إلا أن الجزء الشمالي الغربي الذي يسمى جليقيه، فكانت هذه البقعة التي تركها العرب لبردها ووعورتها نواة للدولة المسيحية الإسبانية التي مازالت تنمو وتترعرع حتى طردت العرب الأندلس بعد ثمانية قرون. وهكذا فتحت الأندلس في أربع سنوات من 91هـ-95هـ.[2]

---

[1]- ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1، ص 60.

* موسى بن نصير عبد الرحمن اللخمي، بالولاء (19م- 97هـ) فاتح الأندلس بعد ابن زياد نشأ في دمشق، خدم بني مروان شأنه فتولى عددا من المناصب من أهمها خراج البصرة وإفريقيا الشمالي في ولاية الخليفة عبد العزيز بن مروان، وولي عليها واستعمل مولاه طارق بن زياد على طنجة وما ولاها وأمره بغزو الشواطئ الأوربية، فاحتل الجبل الذي يحمل اسمه سنة 92هـ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 20.

[2]- ينظر، تاريخ المغرب والأندلس، ص 40-41.

المبحث الثاني: العمران في المدينة الأندلسية

1. تعريف المدينة:

يقال "المدينة: والجمع: المُدن والمدائن: هي البلدة العظيمة تجمع المنازل والأسواق واشتقاق المدينة من الفعل: مَدَن – بالمكان – أي أقام به".[1]

قال تعالى: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَتُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} سورة يوسف، الآية 30.

وقال تعالى:{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ} سورة الأعراف– الآية 111.

إن المدينة ما هي إلا مباني ومنشآت مادية تعبر عن المقومات الروحية والمعنوية لمجتمع معين فهي تبرز ثقافته وفكره ومعتقداته وتمر المدينة بمراحل النمو والنضج وتتأثر بالمظاهر والعوامل المتعددة.[2]

ويقول ابن خلدون أن العمران هو "التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشرة واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي والجبال وفي الحلل المنتجعة للقفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها".[3]

كما يشير ابن خلدون إلى المدينة على أنها بناء يراعى في تعميرها دفع الضرر وجلب المنافع، وتسهيل المرافق ولهذا يجب أن تحاط بسياج من الأسوار وأن تبنى فوق هضبة متوعرة من جبل أو أن يستدير بها نهر أو بحر لدفع الخطر، كما يجب أن يكون موقعها ذو هواء طيب حتى يسلم أهلها من الأمراض أما عن جلب المنافع، فأولها جلب الماء فالأحسن أن يكون البلد قرب منبع مائي، وأن يتواجد قربه مرعا طيب ومزارع وذلك لتسهيل الحصول على الحاجيات اليومية.[4]

---

[1]- قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة العربية الإسلامية، محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993، ص 524.
[2]- ينظر: إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، إبراهيم بن يوسف، مطبعة أبو داوود، الجزائر، ص 63.
[3]- المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: أ.م. كا ترمير، مكتبة لبنان، بيروت، 1858، ج2، ص 67.
[4]- ينظر: المقدمة، ص 210-213.

ترتبط نشأة المدينة الإسلامية بتاريخ الإسلام وتطور حضارته فأول مدينة إسلامية هي يثرب، فبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها حدث تغيير واضح فيها أساسه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لدين الإسلام الذي يضم النظم والقيم الراقية التي تساعد على تشكيل مجتمع مدني متوازن وحضاري مما ينعكس إيجابا على الشق المادي المتمثل في مباني المدينة، فحينما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سعى إلى تذويب القبلية بدعوته إلى التآخي في الإسلام كما أكد على ضرورة صلة الأرحام فبعدما كان العرب مجموعة من القبائل والعشائر المتناثرة ضمها في قبيلة واحدة وعلى مستوى أنضج اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إبدال العصبية القبلية بعصبية الموطن والأرض فظهرت مسميات أخرى بدل أسماء القبائل كأهل المدينة وأهل قباء.[1]

2. المدينة الأندلسية:

تشتهر أغلب المدن الأندلسية إن لم نقل كلها بالغلات والتجارات وبفن العمران وهذا أكثر ما يهمنا فقد كانت المدن الأندلسية تحتوي على الأسواق والعيون والخانات والمساجد الرائعة الجمال وكانت تنتشر على جانب المدن المعمورة الضياع والقرى.[2]

وفي هذا المبحث نتطرق إلى أشكال ونماذج من الأبنية في المدينة الأندلسية ونذكر أمثلة من هذه المدن.

أ. **المسجد:** يعد المسجد قلب المدينة الأندلسية بل قلب كل مدينة إسلامية ومن أشهر المساجد في الأندلس الجامع بقرطبة والذي أنشئ على أيدي حنش بن عبد الله الصنعاني وأبي عبد الرحمن الحبلي التابعين اللذين توليا تأسيسه منذ الفتح الإسلامي لقرطبة وقوما محرابه.[3]

ويمتاز هذا المسجد ببنائه الراقي وزخارفه البديعة فقد بلغ عدد بلاطاته المسقفة تسعة عشر بلاطا، أما أبوابه فخمسة وثلاثون بابا، واحد وعشرون منها كبيرة والمتبقية صغيرة، وكل أبوابه الكبار مغشاة بصفائح النحاس المموه بالذهب، ومجمل عدد سواريه

[1]- المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص 227-228.
[2]- ينظر: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 53.
[3]- بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، السيد عبد العزيز سالم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 191.

ألف وأربعة مئة سارية، أما عدد ثرياته مائتان وخمسة ثرية صغيرة وتسعة ثريات كبيرة، وله منبر عظيم مصنوع من الخشب الرفيع كالعود الرطب ومساميره من الذهب والفضة.[1]

وبسبب روعة بناء المسجد الجامع بقرطبة بكل ما يضمه من زخارف رائعة أصبح نموذج يتبع في بناء المساجد في المغرب.[2]

وفي مدينة إشبيلية يوجد مسجدها الجامع والذي هو حسن البناء والإتقان لا يكاد يرى مثله، وصومعته من أتقن الصوامع، وأبدعها عملا، وألطفها صنعا، معقودة من أسفلها إلى أعلاها على عمود الرخام.[3]

وقد أخذ جامع إشبيلية من جامع قرطبة مظهره الخارجي كما ورث منه أيضا عظمة صحنه بعقوده السبعة في أروقة مجنباته التي تحدد عظمة اتساعه بدلا من أربعة عقود في أروقة الصحن بجامعي الكتيبة بمراكش وتنمال بالمغرب.[4]

ب. السوق: إن "إنشاء الأسواق في المدن الإسلامية كان من محاور النهضة بعمرانها فهو من متطلبات الجماعة الإسلامية، وهو أحد الركائز الاقتصادية لأن المدن تتفاضل بالأسواق وكثرة الأرزاق ونفاق الأسواق من تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة، ومن ثم فإن الازدهار الاقتصادي ينعكس على ازدهار الأسواق وعمارتها".[5]

تقع أسواق غرناطة إلى جوار المسجد الجامع وقد خصصت إحدى هذه الأسواق لتجارة الأقمشة وأدوات الزينة وسمي بالقيسارية، ويتكون من شوارع ضيقة مسقوفة وتقوم الدكاكين على جانبي هذه الشوارع.[6]

وكلمة القيسارية تعريب للكلمة اليونانية للاتينية Kaisareie والتي تعني السوق القيصري التابع للدولة وهي عبارة عن بناء كبير شكله مستطيل يتوسطه طريق وعلى جانبي الطريق تقوم الحوانيت والدكاكين وكانت هذه القيساريات مخصصة لبيع البضائع القيمة في حين أن الأسواق كانت تمتد حول ساحة المساجد الجامعة.[7]

---

[1]- ينظر: تاريخ الأندلس، لمؤلف مجهول، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 84-85.
[2]- ينظر: بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ص 191.
[3]- تاريخ الأندلس، ص 113-114.
[4]- بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ص 191.
[5]- المدينة الإسلامية، 227-228.
[6]- ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بن الأحمر، أ. محمد الطوخي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط 1997، ص 55.
[7]- ينظر: في الربوع الأندلسية، سلمي الكيالي، مكتبة الشرق، حلب، د.ط 1963، ص 218.

ويوجد في إشبيلية إلى اليوم شارع يعرف بشارع القيسارية بجوار كنيسة سان سلفادور، نسبة للسوق الذي كان يحيط بجامع ابن عدبس ويحدثنا ابن عبدون في كتابه عن آداب الحسبة بأن هذه القيسارية كانت تضم سوق الثياب، وسوق الخياطين الذي يسمى اليوم Calle de los Alfayates والصباغين، وسوق السقاطين، وسوق الصاغة والعطارين.[1]

كما يوجد بمالقة "أثر إسلامي آخر ذو أهمية خاصة وهو السوق القديم الذي مازال يحتل موضعه منذ العصر الإسلامي وهو يقع اليوم في وسط المدينة، وهو عبارة عن ساحة مربعة واسعة، مخصصة لبيع البقول والأسماك والطيور وغيرها، ومازال هذا السوق يحتفظ ببابه الأندلسي القديم كاملا، وفي حالة جيدة، وهو باب مرتفع ذو عقدين، وعلى جوانبه العليا زخارف وكتابات عربية، يتخللها شعار بني نصر ملوك غرناطة "ولا غالب إلا الله"".[2]

جـ. الحمامات: يحتوي الحمام في الغالب على مدخل يؤدي إلى ممر منكسر ينتهي إلى المشلح الذي يشتمل على موضع لخلع الملابس وحفظها وبه مجلس "معلم" الحمام الذي يأخذ الأجور ويشرف على العمل بالحمام، ويتصل المشلح بالحجرة الأولى من الحمام وهي التي تسمى الحجرة الباردة أو "بيت أول" وهي مزودة بأحواض الماء أو الهواء الساخن المار عبر أنابيب فخارية بحوائط القاعة آتية من جهة "المستوقد" وتتصل الحجرة بحجرة ثالثة هي بيت الحرارة أو "الحجرة الساخنة" وهي مزودة "بمغطس يبلغ فيه الماء الساخن أقصى درجة حرارة يتحملها الجسم، وأرضيات الحجرات مفروشة بالرخام ليسهل تنظيمها، كما أن حجراته معقودة سقفها بقباب بها فتحات تغشيها قطع الزجاج التي تسمح بمرور الضوء دون الهواء وغالبا ما يستخدم في بناء الحمامات الآجر والحجر والرخام، وهي مواد تتحمل الماء... وخلف الحمام وجد المستوقد الذي يتم فيه تسخين الماء في قدور نحاسية كبيرة".[3]

---

[1]- المرجع السابق، ص 218.

[2]- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997، ص 248-250.

[3]- المدينة الإسلامية، ص 221-222.

كثر بناء الحمامات في المدن والقرى الأندلسية وكان هذا النوع من المباني ذو أهمية في الحياة الاجتماعية للأندلسيين لما تجلب للنفس من راحة وانتعاش روحي وبدني.[1]

ونذكر مثالا عن حمامات الأندلس حمام مدينة بلنسية: "ويسمى اليوم حمام الميراننى (Almirante). وقد تهدمت منه ردهة المدخل وبقيت عدة قاعات منها البيت الوسطاني، وتعلو الفراغ المركزي بهذا البيت قبة مثمنة تقوم على جوفات مقوسة، وحول هذا الفراغ أربعة ممرات تطل على وسط القاعة بعقود على شكل حدوة الفرس، قائمة على عمد من الرخام الوردي بتيجانها الملساء، وتعلو هذه المرات قبوات نصف أسطوانية تتخللها، وتتخلل القبة الوسطى مضاوٍ نجمية الشكل.[2]

د. الخان أو الفندق: الفندق في الأندلس هو "بناء يقضي فيه التجار الغرباء ليلهم وتحفظ فيه البضائع وتخزن أو تباع أحيانا بالجملة، فكان بمثابة الخان في المشرق بجانب وظيفته في التخزين والبيع، وكانت هذه الفنادق تتسمى بأسماء ما يباع فيها من بضائع: كالحبوب والقمح والخضروات والقراميد والتين... إلى غير ذلك، أو كانت تتسمى بأسماء أصحابها، كفندق زايدة بغرناطة".[3]

وللفندق في الأندلس مكانة هامة في العمران الاقتصادي، ما جعل الفنادق تكثر حول أهم مراكز المدينة، وبالتحديد حول المسجد الجامع، فقد أشار الإدريسي إلى أن عدد الفنادق في المرية بلغ تسع مائة وسبعون فندقا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي.[4]

ويوجد في غرناطة فندق "وهو عبارة عن بناء عربي قديم ذي باب معقود ضخم، قد نقشت في عقده بالكوفية سورة (قل هو الله أحد)، ونقش على الجنبين عبارة "الملك الدائم، العز القائم" مكررة، ونقش في جانبي المدخلين "يا ثقتي يا أملي أنت الرجاء أنت الولي، فيا للنبي المرسل اختم بخير عملي". ومن داخل هذا الباب دهليز، يفضي إلى فناء

[1]- ينظر: في الآثار وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 208.
[2]- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 1985، ص 215.
[3]- في الربوع الأندلسية، ص 216.
[4]- ينظر: نفس المرجع السابق، ص 216.

واسع مربع الشكل، ضلعه نحو الثلاثين مترا، وبه قاعات عديدة، وفي أعلاه جناح آخر، تتقدمه فوق عقد الباب قاعة ذات مشرفية عربية كبيرة".[1]

لقد اختلف في الفترة التي بني فيها فندق غرناطة لكن يرجح الأمر إلى أنه بني في عهد الدولة النصرية ليكون مكانا يقيم فيه التجار الواردون إلى المدينة وكان يسمى وقتها الفندق الجديد، ثم استعمل بعد ذلك كمخزن للفحم فأصبح اسمه من وقتها إلى اليوم دار الفحم.[2]

ويتكون الشكل العام للفنادق الأندلسية من بهو مستطيل أو مربع تحيط به الممرات التي تتوزع من ورائها غرف الفندق ويخصص الطابق السفلي للمخازن والإسطبلات أما الطابق العلوي فيضم غرف النزلاء ومخازن بضائعهم، وعقود الممرات ترتكز على دعائم خشبية مرتبطة فيما بينها بأوتاد خشبية وفي بعض الفنادق الراقية نجد الدعائم مصنوعة من الآجر كما يتوسط البهو فوارة للسقاية، وكانت الجدران الخارجية مغلقة تماما لتفادي السرقة.[3]

هـ. المدرسة: إن دعوة الإسلام إلى التعلم وطلب المعرفة وتحرر من قيود الجهل جعل المدارس والجامعات الإسلامية تنتشر في ربوع الدولة الإسلامية فكانت مدينة قرطبة الزاهرة والعامرة بالسكان و التي اشتملت على مئة وثلاثة عشر ألف مسكن بينما لم يكن في أوربا كلها سوى مدينة القسطنطينية التي بلغ عدد مساكنها أكثر من ثلاثين ألف مسكن، على ثمانين مدرسة عامة وسبعة عشر معهدا تربويا وعشرين مكتبة عمومية.[4]

كما كانت مدينة غرناطة قطبا علميا وكان يقصدها الطلاب العرب والعجم من كل أنحاء المعمورة، ومن بين مدارسها المدرسة اليوسفية التي أنشأت عام 750هـ/1349م وأخذت اسمها من اسم مؤسسها يوسف الأول، كما عرفت بالمدرسة العلمية والمدرسة النصرية، بدأت بتدريس العلوم الدينية واللسانية ثم أصبحت تدرس كل العلوم التي عرفت في ذلك الوقت، وللأسف فلقد تهدمت هذه المدرسة بين عامي 1719م -1722م و كل

[1]- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص 172-174.
[2]- ينظر: المرجع السابق، ص 174.
[3]- ينظر: في الربوع الأندلسية، ص 216.
[4]- ينظر: تخطيط المدن (العمارة والزخرفة)، ص 39-40.

ما تبقى منها قاعة الصلاة التي تقع في الجهة المقابلة لكاتدرائية غرناطة، وفي متحف غرناطة الأثري توجد لوحة رخامية نقش عليها تاريخ بناء المدرسة على أيام يوسف الأول.[1]

و. المنازل: إن أكثر شيء يلفت الانتباه في عمارة الدور والمنازل الأندلسية رحابة باحاتها والمقصود رحابة صحن الدار ذات الجدران العالية، فكانت هذه المنازل تشبه منازل الشام في صحنها الذي تتوسطه نافورة الماء وتقوم على حوافه أصص الزهور وتحيط به الأواوين والغرف، فقد اهتم عرب الأندلس بتزيين باطن الدار لا بظاهرها.[2]
ومن بين الدور الأندلسية التي بقيت محافظة على هيئتها دار الرماية، ويظهر من سلمها العريض وأبهائها الشاسعة الجميلة، أنها كانت قصرا لأحد الكبراء، وتوجد إلى اليوم في غرناطة العديد من المنازل التي لا تزال تحتفظ بطرازها العربي من فناء أندلسي ومشرفيات.[3]

ز. القصور: اهتم الأمراء والخلفاء الأندلسيون بتشييد قصور الحكم "بجوار المساجد الجامعة، وأطلقوا عليها دور الإمارة، كما شيدوا قصورا للراحة بعيدا عن العاصمة وتشبه تلك القصور المدن الصغيرة، فقد تألفت من قصور الأمير وأفراد حاشيته وخاصته، وتضم منتزهات ومحال فسيحة ومسارح للطيور مظللة بالشباك وأسواق وحمامات وفنادق ودور للصناعة ومساجد".[4]

في البداية سنتطرق إلى القواعد الملوكية أو المدن الصغيرة التي تضم قصر الملك وبعض المرافق التابعة له وأهم نموذج يذكر هنا في هذا الإطار مدينة الزهراء لما لها من مكانة في تاريخ الأندلس المعماري والفني، "وقد أنشأت هذه القاعدة الملوكية في منطقة غرب قرطبة، على يد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله بداية من عام 325هـ/936م واكتمل بناءها في عهد ابنه الخليفة المستنصر ولم يذخر الناصر أي جهد أو نفقة من أجل بنائها وزخرفتها وفيها أنشأ قصر الخلافة العظيم وقصره الخاص المسمى

[1]- ينظر: المدن والآثار الإسلامية في العالم،أحمد أرشيد الخالدي،دار المعتز،ط1،2010، ص 241.
[2]- ينظر: في الربوع الأندلسية، ص 98-101.
[3]- ينظر: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص 174.
[4]- تاريخ العرب في بلاد الأندلس، محمود السيد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، ص 137-138.

بالمؤنس ولكنها لم تدم كقاعدة ملوكية إلا أربعين سنة فقط ويرجع ذلك لأسباب سياسية، وعمَّها الخراب في أواخر القرن الرابع الهجري حينما وقعت ثورات البربر عقب الدولة العامرية.[1]

إن الحفريات التي أقيمت على مدينة الزهراء بيَّنت أن هذه الأخيرة تنقسم إلى ثلاثة مجموعات مدرجة من الأعلى إلى الأسفل، تضم المجموعة الأولى موقع القصر الخليفي والمقام الخاص أما الثانية فتضم مساكن الحاشية والحرس أما عن المجموعة الثالثة فبها ثلاثة أبهاء كبيرة عالية ذات أعمدة ضخمة وأروقة جانبية، ويظن أنها كانت أبهاء رسمية يتم فيها استقبال السفراء والملوك ولا تزال بعض الجدران في هذه الأبهاء تحمل بعض الزخارف الأصلية بألوانها الزاهية.[2]

بلغ عدد دور الزهراء مائتين وخمسة وعشرون دارا وأبوابها كلها ملبسات بالحديد والنحاس المموه بالذهب، وقد جلب رخام مدينة الزهراء من قرطاجنة، ودخل في قصر الزهراء من سواري الرخام أربعة آلاف وثلاثة مائة واثني عشر سارية، وجلب إليها الرخام الأبيض والمجزع من رية، والوردي والأخضر من إفريقية كما جلب إليها أحمد اليوناني الحوض المنقوش المذهب من عند صاحب القسطنطينية والحوض الأخضر الصغير جلبه الفيلسوف أحمد بن كرم من الشام وقد نصب هذا الحوض في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس، ولقد كان بناء الزهراء بناء محصنا ومزينا تجري فيه المياه وكان به العديد من الحدائق والبساتين.[3]

وفي غرناطة نجد قصر البرطل وهو من أقدم قصور الحمراء التي ترجع إلى عهد يوسف الأول ويعنون بالبرطل في الأندلس الظلة التي تقوم على بائكة هذا القصر الواقعة بين برج السيدات ومصلى صغير وتتألف ظلة هذا القصر من خمسة عقود الأوسط هو الأكثر ارتفاعا ويطل البرطل على بركة تزودها نافورة أسفل العقد الأوسط بالمياه وراء هذا البرطل قاعة مربعة تشبه البرج يمكن الارتقاء منها إلى الطابق العلوي وتكسي الجدران التي تعلوها بائكة البرطل شبكات من الزخرفة كما يحيط بالجدران إزار من

[1]- ينظر: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال(دراسة تاريخية أثرية)، ص 35-36.
[2]- ينظر: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال، 36-38.
[3]- ينظر: تاريخ الأندلس، ص 204-206.

الزليج تتعدد فيه الرسومات الهندسية الملونة أما دعائم عقود البائكة فمن الآجر وإلى يمين البرطل من شرقه، وعلى ممشى السور، مسجد صغير ملحق بالبرطل.[1]

وغير بعيد عن قصر الحمراء يوجد قصر جنة العريف الذي شيد في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ويقع شمال شرقي قصر الحمراء فوق ربوة مستقلة وتظهر من ورائه جبال الثلج، وقد غرست في ساحات القصر وأفنيته الرياحين والزهور فائقة الجمال حتى أصبح هذا القصر المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم العليل وقد اتخذه ملوك غرناطة منتزها للراحة والاستجمام.[2]

وفي قصر جنة العريف اختلطت أصوله الإسلامية بما أنشأه الأسبان بعد سقوط غرناطة، وتجوز إلى هذا القصر من مدخل متواضع يؤدي إلى ساحة فسيحة قد أقيم على جانبها رواقان طويلان ضيقان، وفي وسطها بركة ماء وقد غرست حولها الرياحين والزهور الساحرة، حتى كانت المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم العليل.[3]

ي. **المسالك والطرق:** وتعتبر "شريان المدينة يوصل بين قلبها وبقية أطراف جسدها فينظم بذلك حركتها".[4]

تشترك أغلب الدراسات الأثرية والحضارية والتاريخية للمدينة الإسلامية في ملاحظة واحدة هي أن الشوارع الإسلامية تتصف بالضيق والالتواء وتنقسم إلى نوعين وهما طرق العامة أو طريق المسلمين وهي ملك لعامة الناس تحافظ السلطة عليها وهي طرق نافذة توصل إلى غيرها، أما النوع الثاني من الطرق فهي الطرق الخاصة والتي يشترك في ملكيتها أصحاب الدور المحيطة بها ولهم حرية الارتفاق بها دون غيرهم. كما تدرجت كل هذه الشوارع من الاتساع إلى الضيق بالشوارع العامة غالبا ما تكون مستقيمة ومتسعة أما الشوارع الخاصة فتتسم بالضيق والالتواء نظرا لظروف تخطيطها.[5]

---

[1]- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 204.
[2]- المدن والآثار الإسلامية في العالم، ص 239.
[3]- مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، ص 63.
[4]- إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، ص 83.
[5]- ينظر: المدينة الإسلامية، ص 162-165.

ط- المباني التي تحصن المدينة الأندلسية :

تتميز المدن الأندلسية التي تمّ تأسيسها في عهد المسلمين بصفات حربية و هذا دليل على أنها كانت مناطق دفاعية . ([1])

لقد إرتأينا في هذا الجزء أن نضم جميع أنواع هذه المباني مع بعضها البعض و ذلك لارتباطها معًا. كما سندرج – إن شاء الله – أمثله عنها من مدن مختلفة من الأندلس.

تتنوع تحصينات المدينة الإسلامية إلى مدن دفاعية قائمة بذاتها و إلى أسوار و أبراج وقلاع...

- المدن: توجد في الأندلس العديد من المدن الدفاعية منها مدينة المرية و هي " مدينة عظيمة على ساحل البحر، و هي محدثة أحدثها العرب في الإسلام، كانوا يرابطون فيها و بنى سورها عبد الرحمان الناصر لدين الله سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائة، وهو سور منيع من صخر ([2]) ، كما تمتاز بشكلها البديع و بنائها المتقن و بها قصبة عظيمة في رأس الجبل تشرف على المدينة و أحيطت القصبة بسور متقن و لا يصل إلى قصبتها إلا بمشقة ([3]).

- الأسوار: في بداية الفتح الإسلامي للأندلس إكتفى المسلمون بالأسوار الرومانية التي كانت موجودة للتحصن بها و لكن لما توسع العمران خارجها و أصبحت عائقا في طريق التوسع العمراني هُدمت و أصبحت مواضعها عبارة عن طرق واسعة، أما حجارتها فاستخدمت في بناء المنشآت الأخرى مثل الجسور. كما بنيت أسوار جديدة حول المدن مثل سور قرطبة الذي أمر ببنائه الأمير عبد الرحمان بن معاوية . و قد بُنِيَ هذا السور باللبن كما بنى عبد الله بن سنان سور إشبيلية من حجارة سورها القديم ([4]).

و كانت الأسوار الأندلسية تحتوي على درب يسير عليه الجند في الأعلى و يسمى الممشى و دروات يحتمون خلفها و الدروة كتلة قائمة تنتهي بشكل مخروطي بها فتحات صغيرة تساعد المحاربين على النظر إلى الأسفل دون أن تصيبهم الأسهم ([5]).

([1]) المساجد و القصور في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، 1982،ص 155.
([2]) تاريخ الأندلس، ص 138.
([3]) ينظر نفس المرجع السابق، ص 138.
([4]) ينظر المساجد و القصور في الأندلس، ص 156- 157.
([5]) ينظر المساجد و القصور في الأندلس، ص 158 – 160.

- الأبراج: تتنوع الأبراج الأندلسية إلى مربعة الشكل مثل برج حصن منتقوط بمرسية و أبراج إشبيلية و قرطبة و يتألف البرج من جزء سفلي و آخر علوي يضم غرفة تعلوها في بعض الأحيان غرفة ثانية تستخدم للدفاع فيها فتحات تنفد منها السهام وتغطي الغرف غالبا بقبوات نصف كروية و كثيرًا ما يمر الدرب أو الممشي في داخل البرج ، أما البرج المضلع فهو تقليد للعمارة الرومانية و قد تنوعت هذه الأبراج إلى سداسية و ثمانية الشكل كما قد يصل عدد أضلاعها إلى إثنى عشر ضلعًا مثل أبراج مدينة فريجوس السداسية و برجا باب قرطبة بمدينة قرمونة المثمنان ([1]).
- القلاع: كانت القلاع تبنى في أكثر مناطق المدينة إرتفاعا و أوعرها و أصعبها مسالكا كما كانت هذه القلاع تستند إلى جزء من أسوار المدينة و ذلك لتسهيل الفرار على حاميتها ([2]).

من القلاع الأندلسية المشهورة قلعة جابر "تقع هذه القلعة في بلدة صغيرة تدعى بلدة قلعة جابر وتقع هذه البلدة على مسافة قريبة من جنوب شرقي إشبيلية، و تعد القلعة من الحصون الأمامية الشرقية لمدينة إشبيلية و إشتهرت هذه القلعة بحصانتها منذ عهد الطوائف كما أنّها جددت وتوسعت على أيدي الموحدين و بالتحديد في أيام الخليفة أبو يعقوب يوسف و تشغل أطلالها منطقة واسعة ، و تتكون من فنائين كبيرين على كل منهما أبراج يبلغ عددها الإجمالي عشرة أبراج و مدخل كلٍ من الفنائين عقد عربي و تقوم حول القلعة أسوارها القديمة ([3]).

إنّ لتحصين المدن الإسلامية أثر واضح عليها فكان يحد من مساحاتها و بالتالي ضيق المساحة يؤثر على تكويناتها المعمارية و سرعان ما تظهر إمتدادات سكنية خارج هذه الأسوار على هيئة محلات سكنية متكاملة تعرف بالأرباض و قد حصنت هذه الأخيرة بأسوار تربط هذه الأسوار بأسوار المدينة الأصل مناطق إتصال و مدينة قرطبة خير مثال على ذلك ([4])

([1]) ينظر، المرجع السابق، ص 160 – 162.
([2]) ينظر، المرجع السابق، ص 157.
([3]) ينظر، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997، ص 69- 70.
([4]) ينظر المدينة الإسلامية، ص 131 – 132.

الفصل الثالث:

قصر الحمراء .

المبحث الاول: غرناطة آخر الممالك الاندلسية.

المبحث الثاني: لمحة حول قصبة الحمراء .

المبحث الثالث: وصف تصاميم و زخارف قاعات قصر الحمراء

الفصل الثالث : قصر الحمراء

لا يمكن لأحد أن ينكر التطور و الازدهار الفكري و العمراني الذي وصل إليه العرب في القرون السابقة، و لحسن الحظ بقيت بعض الآثار التي تشهد على هذا الأمر منها الآثار العمرانية الأندلسية، و التي يعد قصر الحمراء أهمها و أجملها، و في هذا الفصل سنتطرق إلى وصف القصر بالتفصيل، بعد التعرف على مدينة غرناطة التي احتضنت هذا القصر.

المبحث الأول: غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس.

غرناطة أو كما تدعى بالاسبانية "Granada" و التي تعنى " الرمانة" آخر المدن الأندلسية، والذي توّج سقوطها ظفر إسبانيا النهائي بإسترداد أراضيها القديمة و قضائها على الدولة الإسلامية في الأندلس، و "الرمانة" هي شعار المدينة التاريخي الذي مازال موجودا على باب قصبة الحمراء الرئيسي في شكل ثلاثة رمانات صخرية كبيرة ([1])

لقد بقيت غرناطة المملكة الوحيدة من ملك العرب في إسبانيا بعد أن إستولى الاسبان على قرطبة و اشبيلية و مرسيه و غيرها من المدن، استمر العرب في غرناطة قرنين و نصف قرن من الزمن، و يعود الفضل في هذا إلى السياسة الرشيدة التي اتبعها ملوكها لاجتناب استلاء الإسبان على هذه المدينة بدفع إتاوة لملك قشتالة. و لقد اجتمع في غرناطة العرب المسلمون الذين فروا من المدن، الأخرى إليها. و في فترة الهدوء التي سادت هذه المملكة تطورت العلوم و الفنون، وداعت شهرة المهندسين و البنائين الغرناطيين الذين قاموا ببناء قصر الحمراء بل القصبة ككل بزخارفها و هندستها البديعة و حدائقها الغناء ([2]).

و يقول ابن بطوطة عن غرناطة: " قاعدة بلاد الأندلس، و عروس مدنها، و خارجها لا نظير له في الدنيا و هو مسيرة أربعين ميلا، يخترقه نهر شنيل المشهور، و سواه من

([1])ينظر، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ص 160.
([2]) ينظر، تاريخ المغرب و الأندلس، ص 299.

الأنهار الكثيرة، و البساتين الجليلة و الجنان و الرياضات و القصور و الكروم محدقة بها من كل جهة، من عجيب مواضعها "عين الدمع" و هو جبل فيه الرياضات و البساتين ([1]).

مدينة غرناطة الإسلامية و "التي تقوم اليوم على نفس مخططها غرناطة الحديثة ، تشتمل على عدد كبير من الأحياء، فتقع الحمراء دار الملك في جنوبها الشرقي، ويليها بسيط السبيكة ، ثم الحي المعروف بغرناطة اليهود، و هو المقول بأنه أصل غرناطة و ربض الفخارين و ربض قمارش و ربض المنصور و هذه تؤلف نصفها الجنوبي، و أما نصفها الشمالي فكان يشغله ربض البيضاء و ربض البيازين، و القصبة القديمة، و ربض الرابطين، و بضعة أرباض أخرى " ([2]).

كان لغرناطة الإسلامية عشرون بابًا، لم يبق منها اليوم سوى القليل من بينها باب البيازين و باب فحص اللوز و باب الزيادة، و باب إلبيرة ([3]).

استمرت غرناطة فترة من الزمن في حالة هدوء مصحوب بتخوّف من المملكة الاسبانية التي استولت على العديد من المدن الأندلسية، و في الربع الثالث من القرن الخامس عشر زادت قوة الإسبان بإتجاه مملكة قشتالة و مملكة أرغون بعد زواج "فريد يناند" "بإيزابيلا" و كانت غرناطة في هذه الفترة تحت حكم مولاي علي أبو الحسن، و كان هذا الأخير رجلا شجاعا وقد رفض دفع الإتاوة التي إعتاد أسلافه دفعها لملك قشتالة، ورد في كبرياء على رسالة "فريديناند" : " إنّ دار الضرب لا تطبع نقودا، و لكنّها تطبع سيوفًا" و لمّح في هذه الرسالةلإستعداده للحرب ضد الإسبان و شنّ غرة على المسيحيين في قلعة الصخرة في ليلة شديدة البرودة، و أسر الرجال و النساء و الأطفال، و ساقهم إلى غرناطة. في المقابل هاجم الإسبان الغرناطيين واستولوا على حصن الحمّه ،ومن هنا بدأ صراع الإسبان و الغرناطين وعمّ الخراب أراضيهم، و في النهاية أعدّ النصارى جيشًا كبيرًا بزعامة " مركيز قادس" لمهاجمة غرناطة، و لكنّ "الزغل" قائد العرب مزق جيشه، و بعد ذلك شنّ " أبو عبد الله " غارة فاشلة على الإسبان، و أسر فيها و سيق إلى قرطبة.

([1]) الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية ، ص 214.
([2]) الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال، (دراسة تاريخية و أثرية) ، ص 162.
([3]) ينظر نفس المرجع السابق ، ص 174.

فأحسن " فريديناند" إستغلال الفرصة و استقبل أبا عبد الله استقبالا حسنًا و دارت بينها مفاوضات خلصت إلى اطلاق سراح أبي عبد الله مقابل خلعه لأبيه من الملك فحارب هذا الأخير أباه ثم عمّه الزغل الذي تولى الحكم بعد أن مات أبو الحسن.

استمر الزغل في محاربةالإسبان من جهة و ابن أخيه من جهة أخرى مما زاد من عدد هزائمه، فسخط سكان غرناطة عليه و قاموا باستدعاء أبا عبد الله ليكون سلطانًا عليهم، لكنّ هذا الأخير لم يستطع الثبات لوحده ضد عمّه " الزغل" فاستعان بالمسيحيين و تمكن من دخول غرناطة وحكمها متغافلا على أنّه مجرد أداة ساعدت " فريديناند" للوصول إلى غرناطة، و أرسل إليه هذا الأخير يدعوه إلى تسليمها فرفض " أبو عبد الله" ، و قام ببعض الغارات على النصارى ونجح فيها، لكنّ عزيمة " فرديناند" و "إيزابيلا" على النّيل من أبي عبد الله و الاستلاء على غرناطة جعلتهما يجهزان جيشًا ضخمًا لمحاربة الغرناطيين الذين حاربوا ببسالة، و عندما لم يستطيعوا المقاومة أغلقوا أبواب المدينة التي حُوصِروا فيها ثمانين يومًا إلى أن أهلكهم الجوع ووصل بهم الأمر إلى التوسل إلى " أبي عبد الله" كي يقبل الصلح ، و وقعت وثيقة التسليم في 25 نوفمبر 1491 م ، و نصب علم قشتالة و أراغون فوق برج المدينة ([1]).

من وقت سقوط غرناطة ذهب عصرها الذهبي ، و حلّ عصر جديد شهد فيه المسلمون الباقون في غرناطة على الحزن الذي سار يدُبُّ في أزقتها و قصورها و حدائقها التي صمدت بعض أجزائها ضد التخريب و كأنها الشمعة الوحيدة التي بقيت تضيء غرناطة بعد حلول الظلام عليها و تشهد للعرب بأنهم أهل إبداع و فكر.

([1]) ينظر تاريخ المغرب و الأندلس، ص 300 – 304.

المبحث الثاني: لمحة حول قصبة الحمراء.

أ-**نشأة الحمراء** : تقع مدينة الحمراء أو كما يسميها الإسبان "Alhambra" على هضبة مرتفعة يبلغ طولها 736 مترًا، و عرضها نحو 200 مترًا ، محاطة بسور ضخم بقيت العديد من أجزائه حتى اليوم، و تشرف هذه الهضبة على مرجع غرناطة ([1]).

يرجع قيام الحمراء إلى القرن 4 هـ/10 م فقد أشارت الروايات الأندلسية إلى قلعة تسمى قلعة الحمراء بنيت فوق الهضبة الواقعة على الضفة اليسرى لنهر حدّرة، فعندما تولى باديس بن حَبُّوس زعيم البربر حكم غرناطة، أنشأ سورًا منيعًا حول الهضبة التي تقع عليها قلعة الحمراء.و بداخله أنشأ قصره و مركز حكومته التي أصبحت تعرف بالقصبة الحمراء، و لما غلب محمد بن الأحمر النصري على غرناطة سنة 635 هـ (1238م) إتخذ مركزه في القصبة و أنشأ داخل أسوارها قصره المحصن الذي أطلق عليه تسمية الحمراء القديم. و قد جلب إليه الماء من نهر حدرة. و في أواخر القرن 7هـ أنشأ الغالب بالله محمد بن محمد بن الأحمر ثاني سلاطين غرناطة الحصن الجديد و القصر الملكي ، ثم أنشأ ولده محمد إلى جوار القصر مسجدًا و هو الذي تحتل موقعه اليوم كنيسة "سانتا ماريا"، ثم جاء السلطان أبو الوليد إسماعيل فزاد في تجميل القصر ، لكنّ الفضل الأكبر قام به ولده يوسف أبو الحجاج الذي زاد في زخرفتها، فقد بنى معظم الأجنحة و الأبهاء الملكية بالإضافة إلى آثار أخرى ([2]).

و يعتبر قصر الحمراء في الحقيقة " مدينة ملكية تحتوي على القلعة و القصر والجامع، و يوجد بها المعسكرات و المخازن و صهاريج الماء، و قاعات الاستقبال و أجنحة الحريم و الحمامات" ([3]).

سميت الحمراء بهذا الاسم " لأن أسوارها و جدرانها تضرب إلى الحمرة، و ربما جاءت هذه التسمية من لون التربة التي قامت عليها ".([4])

([1]) ينظر، دراسات في حضارة الأندلس و تاريخها، عبد الواحد ذنون طه، دار المدار الإسلامي ،بيروت – لبنان، ط1، 2004، ص 251.
([2]) ينظر، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانياو البرتغال (دراسة أثرية تاريخية)، ص 190.
([3]) العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، ص 520.
([4]) في الربوع الأندلسية، سامي الكيالي ، ص 49- 50.

و بنيت الحمراء من حجر صناعي يتكون من التراب و الكلس و الحصى توصل بعضها مع بعض بألواح .([1]).

ب- **أبواب الحمراء** : للحمراء عدّة أبواب أهمها " باب الشريعة و الذي كان مجازًا لأصحاب المظالم حيث كان يجلس السلطان أو نائبه في الساحة التي تلي الباب للنظر في شكاويهم و كان يخصص يوم معين لذلك، يبلغ إرتفاع الباب حوالي خمسة عشر مترًا، و قد صنع عقده المزخرف على شكل حذوة الجواد و نقش على هذا القوس بالخط الأندلسي المتشابك إسم من أمر ببنائه و هو السلطان أبو الحجاج يوسف أبو الوليد، و تاريخ بنائه الذي كان في شهر المولد المعظم من عام تسعة و أربعين و سبع مئة. ([2]).

و إلى جانب باب الشريعة نجد باب الشراب Puerta del Vino و كان هذا الباب المعقد يسمى في فترة المسلمين باب غرناطة أو باب الحمراء و نجد أيضًا باب العذور Puerta de las Pozas و باب السلاح Puerta de las armas وباب الطباق السبع Puerta de siestes suelos و تقول الرواية بأن أبا عبد الله آخر ملوك الأندلس، إستقبل فيه الفاتحين يوم التسليم و طلب أن يبنى مكانه حتى لا يجوزه إنسان من بعده و نزل الإسبان عند رغبته .([3]).

أما باب الرمان فليس من أبواب الحمراء الأندلسية ، و لكنه بني في عهد الإمبراطور شرلكان ، و هو عبارة عن عقد حجري ضخم يقوم طرفاه على عمودين كبيرين، و قد نصبت في أعلاه ثلاث رمانات على هيئة مثلث و كان يسمى في البداية "باب بني غمارة".([4])

([1]) ينظر الأندلس في التاريخ ، ص 106.
([2])ينظر الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية و أثرية) ، ص 186.
([3]) ينظر نفس المرجع السابق ، ص 192.
([4]) ينظر نفس المرجع السابق ، ص 184.

ج ــ وصف المخطط الهندسي لقصر الحمراء:

في البداية يجب الإشارة إلى أنّ " قصر الحمراء لم يكن سوى جزء صغير فقط، من مدينة الحمراء أو كما تُسميها الرواية الإسلامية "قصبة الحمراء". و كانت القصبة تشتمل عادة قصر الحاكم و القلعة أو القلاع التي تحميه ، و دور الوزراء أو الحاشية و أحيانًا تنمو هذه المجموعة حتى تغدوا قاعدة ملوكية محصنة. ([1]).

لقد قسم قصر الحمراء من ناحية قاعاته و مرافقه إلى عدّة تقسيمات فإذا كان كونل يقسم قصر الحمراء إلى ثلاثة مجموعات من المباني ، هي :

المشوار حيث قاعات الإستقبال ، و سقيفة المشوار (Patio del Mexuar) حيث مجلس القاضي، و حوض الريحان حيث المقر الرسمي و به قاعة السفراء و صحن السباع، فإن جورج مارسيه يرى أنّه يظهر في شكل قصرين أو مجموعتين من المباني حول فناءين، هما فناء البركة و فناء السباع، و محور كل منها عمودي على الآخر، و ينتشر حولها أعداد من القاعات ذات الأبهاء، و المجموعة الأولى التي ينسب بناؤها إلى يوسف الأوّل تشتمل على عدد من الوحدات، مثل : باب العدل وبرج النساء و صحن البركة و برج قمارش و المصلى و الحمامات، أما مجموعة محمد الخامس فتشتمل على صحن السباع و قاعة الملوك، ثم قاعة الأختين اللتين تعبران عن أغنى ما في القصر ". ([2]).

و يقسم قصر الحمراء أو ما يسميه الإسبان القصر العربي Plalacio Arabe إلى ثلاثة مجمعات شبه مستقلة، أوّلها الجناح الذهبي أو المقصورة و الذي يضم بهو الريحان و كان هذا القسم مخصصًا للأعمال الإدارية، و الثاني جناح قمارش أو بيت السلطان الذي يحتوي على قاعة السفراء و يعتبر هذا القسم مقرًا للسلطان ، أما الثالث الذي يعرف بجناح الأسود فكان مخصصاً لأسرة الملك، و من الغرف التي تحيط ببهو الأسود، غرفة بني سراج و قاعة الأختين و قاعة الملوك. ([3])

([1]) الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية و أثرية)، ص 189.
([2])ينظر العمارة و الفنون في دولة الإسلام، ص 521.
([3]) ينظر دراسات في حضارة الأندلس و تاريخها ، ص 253 – 257.

المبحث الثالث: وصف تصاميم و زخارف قاعات قصر الحمراء

لقد شيد الأمير محمد بن الأحمر قصره المعروف بقصر الحمراء فوق القصبة التي تحتل تلًا شديد الإنحدار يُطِل على مدينة غرناطة. وظل العمل يجري به حتى سقوط المدينة عام 1492 م، و لم يتم تشييد هذا القصر وفقًا لتخطيط و ضع مسبقًا بل جاء نتيجة إضافات متتالية إستمرت ما يقرب من مائتين و خمسين سنة كان خلالها القصر مستخدمًا غير مهجور. ([1]).

و القصر عبارة عن " أفنية يُفضي أحدها إلى الآخر، يزداد كل منها عما يسبقه إنزواءً، و يتصدر الفناء الخارجي الأول المسجد تعقبه قاعات الجلسات الرسمية في الفناء التالي، و لعلهما كان يمثلان الجزء العام من القصر، يلي ذلك قاعة الإستقبال الخاصة و بهو الشرف و قاعة العرش و يمتد أمامهما فناء الريحان الذي كان يملأ الجو بشذاه العطري، و صوت خرير المياه الجارية، و ينسب هذا الفناء إلى يوسف الأول، يعقب ذلك جناح السكنى الملكي بحدائقه و مقاعده المطلة على حدائق الحمامات ، و لكل منها صحنه الخاص. و تنتهي هذه المجموعة بصحن الأسود الذي شيّده محمد الخامس(1350ـــ1400) و كان محرمًا دخوله حتى على أقرب المقربين للملك " .([2]).

لقد تعاقب على تحميل الحمراء و تحسينها أربعة أجيال على الأقل زادوا في سعتها وزينتها المبهرة و قد كانت الزخارف الملونة بالألوان المتناسقة ذات اللمعة الذهبية تملأ جدرانها و سقوفها و الأقواس و الأعمدة و الممرات إضافة إلى التماثيل و النوافير التي تزين الباحات و الأفنية دون أن ننسى الصور التي تحكي مشاهد من الحياة اليومية مثل صور القضاة و صور الصيد القنص و كانت أعمدتها رشيقة وأنيقة كما وجدت بها الزخارف الجصية و الكتابية و النباتية فالحمراء اليوم جوهرة الذوق العربي و الإبداع الهندسي المتقن و السخيِّ في أرقى صوره، و تقوم من حول الحمراء جنات من الزهور و الرياحين والظلال .([3]).

سنتطرق الآن إلى وصف قاعات القصر و أبهائه بالترتيب:

([1]) ينظر القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ص 241 – 242.
([2]) نفس القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص 242 – 243.
([3]) ينظر الأندلس في التاريخ، ص 141.

أ- **فناء الريحان** : يوجد هذا الفناء في الجناح الأول من القصر و هو فناء كبير، ذو شكل مستطيل، تتوسطه بركة واسعة فيها أنواع عديدة من الأسماك، هندسة هذا البهو دقيقة و متناسقة، و هو يجمع بين المياه الكثيرة و الأزهار و الرياحين التي تنعكس صورها على صفحة مياه البركة .([1]).

كما " تطل على بهو الريحان بائكة تتألف من سبعة عقود يتوسطها عقد يزيد في إرتفاعه و إتساعه عن العقود الستة الأخرى التي إنتظمت على جانبيه في تناسق وإيقاع ".([2]).

و قد نقشت في زوايا هذا الفناء العبارة الآتية: "النصر و التمكين و الفتح المبين لمولانا ابي عبد الله أمير المؤمنين" و الآية الآتية : " و ما النّصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ". ([3]).

و على الافريز الرخامي الأوسط لهذا الفناء نقشت " قصيدة من إثنى عشر بيتًا ركيكة، و بها الكثير من الأغلاط، و يرجع ذلك إلى أنّ كثيراً من نقوش الحمراء الحالية هي صنع محدث نقلت بالرسم عن النقوش القديمة، تحت إشراف الأثرين الإسبان، و تسربت إليها عند النقل أغلاط كثيرة و هذا مطلع القصيدة المشار إليها:

تَبَارَكَ مَن وَ لاكَ أمْرَ عِبَادِهِ فأوْلَى بِكَ الإسْلام فَضْلًا و أنْعَمَا

فكم من بلدة للفكر صبحت أهلها و أمسيت في أعمارهم متحكما.

و منها عن يمين الباب الشمالي المفضي إلى البهو المجاور:

و لا خير الإسلام فيما يريده لما اختار إلا أن تعيش و تسلما.

ولقد لاحت أنوار الجلال ببابك يفتر منها الندا بشرا و أنسما

و تلك آثارها في كل مكرمة أبدى و أوضح بدر إذا إنتظما.

و عن يسار الباب:

فيا ابن العلى و الحلم و البأس و الندى و من فاق آفاق النجوم إذا انتمى

([1]) ينظر دراسات في حضارة الاندلس و تاريخها ، ص 253.

([2]) عالم الفكر (العمارة الإسلامية في الأندلس و تطورها)، السيد عبد العزيز سالم ، المجلد الثامن ، العدد الأول، (عدد أبريل 1977)، ص 103.

([3]) الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية و أثرية)، ص 193.

طلعن بأفق المليك رحمـــة ليجلوا ما قد كان بالظلم أظلما

فأمنت حق الغصن من نفخة الصبـــا و أرهبت حتى النجوم في كبد السما"([1]).

ب- **بهو السفراء** : و يفضي باب فناء الريحان الشمالي إلى بهو صغير يسمى بهو البركة وسبب تسمية هذه أنّ قبوته تشبه الزورق و يسبق هذا البهوُ قاعة السفراء ([2]). و هي أفخم و أكبر قاعة في القصر، مربعة الشكل تعلوها قبة خشبية ذات نقوش مذهبة، وقد نقشت جدران القاعة بنقوش متغايرة في غاية الإبداع و الإتقان ([3]).

و في قاعة السفراء أو كما تسمى قاعة العرش ذكريات مريرة لكل عربي و في هذه القاعة تمَّ الاتفاق على تسليم غرناطة إلى فرد يناند و إزابيلا و فيها أيضًا سمع أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة عبارة قاسية من أمه الأميرة عائشة حين قالت له: (أجل فلتبك كالنساء ملكًا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال) ([4]).

و أكثر ما يميز قاعة السفراء القبة الخشبية الفخمة " الذي يبلغ إرتفاعها ثلاثة وعشرون مترًا و قد حفرت زخارفها على شكل النجوم، و زخرفت الجدران على نفس الطراز، و في هذا البهو كان يعقد مجلس العرش، و يعلو بهو السفراء برج قمارش" ([5]).

رغم مرور الزمن " إحتفظت قبة العرش بنقوشها العربية الأصلية و رونقها و بهائها في حين أنّ نقوش الجدران بجمالها ليست إلا تجديدًا مقلدًا لنقوشها القديمة و هي من عمل الإسبان. و قد نقشت في عقد صالة السفراء العبارات الآتية : (الحمد لله على نعمة الإسلام)، (عزّمولانا أبي الحجاج عزّ نصره)، و نُقِش في أسفل مدار القبة بحروف بيضٍ نص سورة تبارك كلّها. و في الجدار الشمالي للبهو تكرر نقش عبارة: (النصر و التمكين و الفتح المبين لمولانا أبي الحجّاج أمير المسلمين نصره الله)، هذا

([1])المرجع السابق، ص 193- 194.
([2]) ينظر البحوث الإسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار ،ج2 ، ص 584.
([3]) المدخل لتاريخ العمارة الإسلامية و تطورها، ص 67.
([4]) ينظر، دراسات في تاريخ الأندلس و حضارتها ، ص 254.
([5]) الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ص 196.

بالإضافة إلى العديد من الأبيات الشعرية ، و عبارات (الحمد لله) و (عزّ لمولانا السلطان أبي الحجّاج)، المنتشرة على الجدران و العقود.([1]).

ج- **الحمامات الملكية:** يوصل "بهو البركة من ناحيته اليمنى إلى فناء سفلي يعرف بفناء السرو، و قد زرعت فيه بالفعل بعض أشجار السور، وليس لهذا الفناء أهمية أثرية تذكر، فهو من صنع الإسبان، و إلى جانبه يقع جناح الحمامات السلطانية، و هو عبارة عن عِدّة حمامات رخامية تتخللها أبهاء صغيرة، و مازالت بها أماكن الأحواض ظاهرة وكذلك أماكن المواسير و الصنابير.([2])

تتألف الحمامات الملكية " من قاعة كبيرة مغطاة بقبة كبيرة ذات أقمار و نجوم أقيمت على عقودٍ رشيقة تحيط بها شرفة أعدت لجوقة موسيقية من الحسان لتشنق آذان المستحمين الذين يستريحون من عناء الإستحمام و لم تخل هذه الحمامات أيضًا من الزخارف و النقوش و أبياتٍ من الشعر ترمز إلى الهناءة التي يحسها الانسان بعد دخوله هذه الحمامات "([3]).

و من نقوش هذا الجناح " عبارة: " و لا غالب إلا الله " و " الله عدّة لكل شدّة" و"النصر و التمكين و الفتح المبين لمولانا أبي عبد الله أمير المسلمين "".

و في نهاية هذا الجناح من الداخل نقشت في فجوة صغيرة من الرخام قصيدة من ستة أبيات أولها:

أعجب شيء حادث أو قديـــم مرابض الأسد بيت النعيـــم

و آخرها:

من كأبي الحجّاج سلطانًـــا لا زال في نصر و فتح عظيـــم. ([4]).

د- **بهو الأسود** : لقد قام محمد الخامس بعمل رائع حين بنى قصر السباع، و كان نظام بنائه جديدًا حيث أحيط هذا البهو من واجهاته الأربعة بأربع بوائك تقوم على أعمدة رشيقة تحمل عقودًا نصف دائرية مطولة، تعلوها جدران مكسوة بالشبكات الزخرفية و

([1]) ينظر، دراسات في حضارة الأندلس و تاريخها، ص 255.
([2]) الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ص 197.
([3]) في الربوع الأندلسية ، ص 63.
([4]) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ص 198.

يتوسط البهو نافورة في شكل إثنى عشر أسدًا تمج الماء من أفواهها. و نقرأ على جدران هذا القصر نقوشًا عربية، منها (عزّ لمولانا السلطان أبي عبد الله الغني بالله)، كما تزخر بكثير من أشعار ابن زمرّك في مدح السلطان .([1]) و كتبت هذه النقوش بخط النسخ أو الخط الكوفي الجميل، يفصل فيما بينها شعار بني نصر (و لا غالب إلا الله) و هي أيضًا كتبت بخط النسخ أو الخط الكوفي ، و نقشت في الداخل، وراء القبة، في صدر البهو الصغير الذي يلحق بالفناء من الناحية البحرية العبارات الآتية : (أبو عبد الله أمير المسلمين) ، (النصر و التمكين و الفتح المبين لمولانا أمير المسلمين)، (و لا غالب إلا الله) . كما نقش على رؤوس مجاميع الأعمدة التي تزيد عن إثنين ما يأتي : (عزّ لمولانا السلطان العادل المجاهد أبي عبد الله الغني بالله)، أما فوق دائرة صحن النافورة التي تحمل الأسود نقشت قصيدة رائعة من نظم الوزير ابن زمرك، و منها أبيات وردت في قصيدته في وصف الحمراء، و هذا مطلعها:

تبارك من أعطى الإمام محمدًا مغاني زانت بالجمال المغانيا.

و إلا فهذا الروض فيه بدايع أبى الله ان يلقى لها الحسن ثانيا

و منحوتة من لؤلؤ شق نورها تحلى بمرفض الجمان النواعيا

تشابه جار للعيون بحامد فلم ندر أيّاً منها كان جاريا

ألم تر أنّ الماء يجري بصفحها و لكنها مدت عليه المجاريا

.([2]).

و في صحن السباع المستطيل الشكل قناتين للمياه تتقاطعان لتكونا شكلًا صليبيًا، وهناك العديد من الدراسات التي ترى بأن نظام هذا الصحن متأثر بنظام أبهاء الأديرة المسيحية و لكننا نرى أنه متأثر بنظام صحون المساجد و الأديرة، و إذا وجد تأثر بالفن المسيحي فيكون في تعقد الزخرفة و الغلو في حشدها، كل هذا نتيجة لتطور

([1]) ينظر، في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس ، ص 205.
([2])ينظر الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال، ص 200-202.

العلاقات الودية بين غرناطة من جهة و طليطلة و إشبيلية من جهة أخرى في النصف الثاني من القرن الرابع عشر .([1])

و يشبه معمار ساحة الأسود معمار كل أبنية القصر الأخرى " و هو ينم عن الرشاقة أكثر مما يتسم بالضخامة، و يدل على الذوق الرفيع، و هو يملأ النفس جمالاً و متعة . و عندما ينظر المرء إلى هذه الأعمدة الرشيقة التي تبدو سريعة العطب، و تحمل أثقالاً هائلة، و يتأمل الحيطان الرقيقة في القاعات، يجد من الصعب الإعتقاد أنّها قاومت عوادي الأيام قرونًا عديدةً". ([2])

هـ- قاعة الأختين: تقع هذه القاعة شرقي فناء البركة، و تصل إليها من باب الفناء الشرقي بعد المرور برواق طويل مظلم .([3]) و تسمى بهذا الاسم " نسبة إلى لوحتين كبيرتين من الرخام مثماتلتين في الشكل كانتا تكسوان الأرضية، و تعلو هذه القاعة بالمثل قبة نجمية الشكل من المقرنصات الدقيقة التي تشبه خلايا النحل. و تؤدي هذه القاعة إلى شرفة تطل على حي البيازين. و جميع جدران هذه القاعات مكسوة بالزخارف الهندسية و النباتية المحتشدة تتخللها كتابات كوفية و نسخية و أدعية للسلطان، والأجزاء الدنيا منها مؤزّرة بالزّليج و الفسيفساء .([4]).

و قاعة الأختين هي " القاعة التي كانت تسكنها الأميرة عائشة زوج السلطان أبي الحسن ، فتعد من أجزاء القصر الخاصة بالملك و حريمه، و تتصل من ثلاث جهات بثلاث مقصورات صغيرة أعدت للنوم، و لا يداني هذه القاعة أي جزء من أجزاء الحمراء لجمالها و تناسق زخارفها الجصية الدقيقة. ([5]).

و في مدخلها نقشت بالخط الكوفي عبارة : " و لا غالب إلا الله " مكررة، و نقشت هذه العبارة أيضاً حول جدرانها في الأسفل و الأعلى ، و نقشت تحتها هذه الأبيات وهي مقتبسة من قصيدة للوزيرابن زمرك الشهيرة في وصف الحمراء و هي :

([1]) بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار ، ص 589 – 590.
([2])دراسات في حضارة الاندلس و تاريخها، ص 256.
([3]) ينظر الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية اثرية)، ص 198.
([4]) بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار، ص 589.
([5]) ينظر في الربوع الأندلسية، ص 63.

تبيت له خنس الثريا معيذة و يصبح مصل النواسيم رواقيا

فبين يدي مولاي قامت لخدمة و من خدم الأعلى استقا المعاليا

و كذلك نقشت على الجدران هذه العبارة مكررة: "النصر و التمكين لمولانا أبي عبد الله أمير المسلمين." ([1]).

و- **قاعة بني سراج :** " و في الجهة الثانية من ساحة الأسود و المقابلة لغرفة الأختين، يمكننا الدخول إلى بهو أو قاعة بني سراج (Sala de las Abencerrajes) و هو اسم الأسرة الغرناطية التي لعبت دورًا كبيراً في أحداث غرناطة الأخيرة . و قد حمل البهو هذا الاسم بعدما راجت أسطورة نكبة بني سراج في البهو المذكور أيام السلطان أبي الحسن علي بن الأحمر، و ابنه أبي عبد الله . و تقول هذه الأسطورة أنّ عميدهم محمد بن سراج حاول مساعدة عائشة الحرة مع وليدها للفرار من برج قمارش، حيث كانت مسجونة بأمر زوجها السلطان أبي الحسن علي ، بتأثير زوجته الثانية (ثريا)، ولكن المحاولة كُشفت ، فانتقم السلطان من بني سراج، و دُبرت مؤامرة لاغتيالهم، نُفذت في الحمراء، فقُتِلوا في هذه القاعة واحدًا إثر الآخر." ([2]).

تتوسط قاعة بني سراج بيلة من الرخام بها آثار بقع حمراء، يقال : إنّها من دماء بني سراج بعد أن قضى عليهم ملوك بني نصر ".([3]).

و هذه القاعة ذات شكل " مستطيل مساحته نحو إثنى عشر مترًا في ثمانية، غطيت أرضيته بالرخام المرمري و فوقه قبة عالية، مضلعة الدائرة، و في جوانبها كوات صغيرة هي التي تمد القاعة بالضوء، و في كِلا الجانبين الأيمن و الأيسر عقد عربي بديع، و قد زُيِّن عقد الباب و هو من الخشب المعقود بزخارف عربية جميلة، وحفرت في داخل دائرة القبة مقرنصات مثلثة، ليست هي زخارفها الأصلية ، بل هي من صنع الإسبان، و ترجع إلى القرن الثامن عشر، و قد نقشت في دائرة القبة الوسطى عبارة: " و لا غالب إلا لله " بالنسخ و الكوفي، و نقش في دائرتين في الجهتين اليمنى و اليسرى هذا البيت و الذي هو من نظم ابن زمرك:

([1]) الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ص 199.

([2])دراسات في حضارة الأندلس و تاريخها.

([3]) بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار ، ج2 ، ص 589.

فتحسبها الأفلاك دارت قسبها تظل عمود الصبح إذ لاح باديا

و نقش في جدران الصدر في مواجهة الداخل هذان البيتان و هما أيضاً من نظم ابن زمرك.

تبيت لها خنس الثريا معيذة و يصبح معتل النواسيم رواقيا

و تهوي النجوم الزهر ثبثت به و لم تك في أفق السماء جواريا " (1)

ز- **قاعة الملوك** : تقع خلف الجوصق الشرقي لبهو السباع قاعة الملوك أو كما تسمى قاعة العدل التي تزخر بالعقود المتعارضة التي تحتشد في بواطنها المقرنصات الدقيقة. (2) " و قد رسمت في سقف إحدى حنياتها صور عشرة أشراف من المسلمين يلبسون العمائم، و يجلسون على الوسائد، و هيئاتهم تشع بالوقار و العزة. و يرى بعض الباحثين أنّ هذه صور ملوك غرناطة الذين سبقوا أبا عبد الله في تولي العرش، اولهم محمد الغني بالله ، و آخرهم السلطان أبو الحسن والد أبي عبد الله ، و لكن أدلاء السياحة يعتقدون أنّ هؤلاء الأشخاص يمثلون قضاة المحكمة، ولهذا يطلقون على هذه القاعة اسم قاعة العدل أو الشريعة".(3)

و في الناحية الشرقية لفناء الأسود مدخل هذه القاعة و هو عبارة عن عقد بديع مثلث الجوانب، كما نقشت في سقف الحنيتين الباقيتين صور فرسان و مناظر فروسية بالإضافة إلى مناظر صيدٍ يُطارد فيها دب و خنزير.و يرى فريق من الأثريين أنّ هذه الرسوم على الأرجح من صنع بعض الفنانين، و رسمت قبل سقوط غرناطة في القرن الخامس عشر .(4).

يعد قصر الحمراء من أرقى المباني الإسلامية، و قد وصل المهندسون الذين بنوه والفنانون الذين زخرفوه إلى درجة عالية من الرقي و البراعة، حيث أنّهم بعملهم هذا يخاطبون كل حواس الإنسان الذي يدخل القصر، فالعين تبتهج لما تراه من زخرفة مختلفة الأنواع، تباينت ألوانها من أحمر و أزرق إلى أبيض و ذهبي. قد كَسَت كل

---

(1) الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ص 202.
(2) ينظر، في تاريخ و حضارة الإسلام في الاندلس ، ص 206.
(3)دراسات في حضارة الأندلس و تاريخها، ص 257.
(4)ينظرالآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ص 204.

الجدران و الأسقف و الأرضيات، و من انكسار و انعكاس للضوء على الأسطح الملساء ، كالزّليج و رخام الأعمدة الرشيقة، ففي حين تتمتع الأعين بالمناظر الجميلة،يطرب خرير المياه الجارية في سواقي القصر و نوافيره آذان السامعين ، ويُنعش عبق الرياحين والزهور أنوف الزائرين.

خاتمة

وفي الأخير خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها :

- أن العمارة هي الصيغة الأكثر وضوحا في الحضارات القديمة .
- اتخذ القدماء العمارة من أجل الإيواء والحماية من الأخطار الخارجية .
- وجود مجموعة من المدن في البلاد العربية قبل الإسلام مثل مدينة صنعاء والحضر ومدينة تدمر.
- كانت الأبنية العربية قبل الإسلام بسيطة، فالدور كانت في طابق واحد أكثرها باللبن وقليل منها بالحجارة .
- تنقسم المنشآت العمرانية الإسلامية إلى عدة أقسام أهمها المباني الدينية المتمثلة في المساجد والكتاتيب والمباني المدنية التي تشمل المنازل والقصور والمباني العسكرية التي تنوعت إلى مدن وقلاع وحصون وأسوار .
- للمباني الإسلامية ميزة خاصة فقد اعتمدت على تخطيط خاص وعناصر إنشائية مميزة مثل الاهتمام بالصحن لأجل توفير التهوية والإضاءة كما اعتمدت على المواد الأولية المتوفرة من أجل البناء وابتكرت حلولا عمرانية وجعلتها من مميزات عمارتها مثل القباب والأواوين والأروقة....
- الاهتمام بإنشاء المباني الخاصة لسد حاجات المجتمع الإسلامي فظهرت البيمارستانات والمدارس والخانات والفنادق والحمامات والأسبلة.
- لما توسعت الدولة الإسلامية وأصبحت متناثرة الأطراف اختلط العرب بالأعاجم والفرس والروم واحتكوا بهم وشمل هذا الاحتكاك جميع الميادين بما فيه العمران فقد أخذ العرب الفنون عن الفرس وتعلموا منهم طرق تزويق وتنميق المباني التي لم تخلو من البصمة الفنية العربية الأصيلة.
- روعي في بناء المنازل والمباني الإسلامية بصفة عامة احترام المبادئ والقيم الإسلامية كحفظ حجاب المرأة المسلمة وخصوصية الجيران .

- تطورت معظم المباني الإسلامية من شكلها البسيط التي كانت عليه في بداية الإسلام إلى أشكال راقية بعد ذلك في فترة الأمويين .
- لقد اهتم الخلفاء المسلمون ببناء القصور فقد ظهرت المدن الملكية في عهد بني أمية مثل مدينة الزهراء ومن قصور ملوك الطوائف نجد قصر المعتمد بن عباد ونموذجا عن القصور الموحدية بالأندلس قصر إشبيلية.
- الزخارف العربية مستمدة من الأشكال الهندسية والنباتية .
- تجنب المسلمون استخدام الصور والتماثيل لتزيين المباني لأنها لا تتماشى ومقتضيات هذا الدين الحنيف إلا أننا نجد بعض التماثيل والصور في بعض القصور والحمامات الملكية ، مثل تماثيل السباع في بهو السباع داخل قصر الحمراء .
- يجب التفريق بين قصر الحمراء وقصبة الحمراء التي تضم القصور والقلعة ودور الوزراء و الحاشية.
- ينقسم قصر الحمراء إلى بهو الريحان والذي خصص للأعمال الإدارية وبهو السباع الذي يضم غرف أسرة الملك وجناح قمارش الذي هو مقر السلطان.
- نجح عرفاء بني نصر في إحداث تأثير جمالي يصحب فن توزيع الخمائل والجنان ومزج المنظر الطبيعي بالعمارة في قصر الحمراء بل في القصبة ككل .
- بلغ الفن الغرناطي ذروته فقد أعد كل شيء لتخدير المشاعر عن إدراك الحقيقة التي لا سبيل إلى التغافل عنها ، وهي انتهاء دولة الإسلام في الأندلس .
- إتباع المنهج القرآني في وصف الجنة ومحاولة تطبيقه على أرض الواقع مثل إنشاء سواقي صغيرة تجري على ممرات القصور وأطراف السلالم وبين الأشجار والأزهار تنبع مياهها عادة من أعالي الجبال القريبة من هذه القصور .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

*** القرآن الكريم(رواية حفص).**

1. آثار المدينة المنورة ، عبد القدوس الأنصاري ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ط 3 ، 1973 .
2. الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية أثرية) ، مكتب الخانجي - القاهرة ، ط 2 ، 1997 .
3. اشكالية العمران و المشروع الإسلامي ابراهيم بن يوسف ، مطبعة أبو داوود ، الجزائر .
4. الأندلس في التاريخ ، شاكر مصطفى ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 1990.
5. بين الآثار الإسلامية،حسن عبد الوهاب،د.ط، د.ت.
6. البحوث الإسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار،السيد عبد العزيز سالم،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان،ط1،1992م.
7. تاريخ افتتاح الأندلس ، أبو بكر بن القوطية تحقيق و تعليق اسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د. ط ،1989 م .
8. تاريخ الأندلس، لمؤلف مجهول ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ،ط1 ، 2007 م.
9. تاريخ الحضارة الإسلامية ، محمد عبد القادر خريسات ، مؤسسة حمادة - الأردن ، ط1 ، 2000م.
10. تاريخ العرب في بلاد الاندلس ، محمود السيّد ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، د.ط ، 2003م.
11. تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، السيّد عبد العزيز سالم ،دار النهضة العربية ،د .ط ، 1971م .
12. تاريخ العمارة بين القديم و الحديث ، رنا اسماعيل اليسير ، إثراء للنشر و التوزيع - الأردن ، ط 1 ، 2010م.
13. تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس ، السيد عبد العزيز سالم مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، د.ط ، 1988 م

14. تاريخ المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ، السيد عبد العزيز سالم دار النهضة العربية ، بيروت ، د. ط ، 1981 م ، ج2.
15. تاريخ المغرب و الأندلس ، عصام الدين عبد الرؤوف ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ط ، 1998 م .
16. تخطيط المدن (العمارة و الزخرفة) ، حنان قرقوتي ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، د .ت .
17. الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ، سلمى خضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1 ، ج 1 ، 1998 م
18. الحضارة العربية الاسلامية في النظم و العلوم و الفنون ، اسحاق رباح و سليمان أبو سويلم دار الكنوز و المعرفة العلمية - للنشر و التوزيع ، عمان، ط1 ، 2009 م .
19. الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية ، الأمير شكيب ، أرسلان ، دار المكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ، د . ط ، د .ت
20. جمالية الفن العربي ، عفيف البهنسي ،د.ط، 1979 م.
21. خطط الشام ، محمد كرد علي ، مكتبة النوري - دمشق ، ط 2 ، ج6
22. دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د.ط، د.ت.
23. دراسات في حضارة الأندلس و تاريخها، عبد الواحد دنون طه، دار المدار الإسلامي ، بيروت - لبنان، ط1، 2004م.
24. روائع الحضارة العربية الاسلامية في العلوم، علي عبد الله الدّفاع مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1998م
25. عالم الفكر (العمارة الإسلامية للأندلس و تطورها)، السيّد عبد العزيز سالم، المجلد الثامن، العدد الأول (عدد أبريل 1977).
26. العمارة العربية الإسلامية، محمد حسين جودي، دار المسيرة، عمان الأردن، ط1، 2007م.
27. العمارة العربية (الجمالية و الوحدة و التنوع)، عفيف البهنسي، المجلس القومي للثقافة العربية - المغرب، د.ط،د.ت.

28. العمارة العربية بمصر (في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي)، ولفرد جوزف دللي ترجمة محمود أحمد، الهيئة العامة للكتاب،د.ط، 2000م
29. العمارة عبر التاريخ، عفيف البهنسي، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، د.ط،د.ت.
30. العمارة و الفنون في دولة الإسلام ،سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف جلال حزى و شركاه، الإسكندرية د.ط 2004 م
31. العمارة و المعاصرة، عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، د.ط، 2005م
32. في تاريخ المغرب و الأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، د.ط، 1992م.
33. في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس، السيّد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 1985م.
34. في الربوع الأندلسية، سامي الكيالي، مكتبة الشرق، حلب، د.ط، 1963م.
35. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة العربية الإسلامية، محمد عمارة ، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993م.
36. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية (تاريخ الفن العين تسمع و الأذن ترى)، ثروت عكاشة، درا الشروق، القاهرة، ط1،1994م.
37. لسان العرب، إبن منظور، دار المعارف، ج4.
38. المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية و تطورها، شريف يوسف، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة و الاعلام الجمهورية العراقية، د.ط، د.ت.
39. المدن و الآثار الإسلامية في العالم، أحمد أرشيد الخالدي، دار المعتز، ط1،د.ت.
40. المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت، د.ط،1988م.

41. المساجد، حسين مؤنس، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت، د.ط، 1981م.
42. المساجد الأثرية في المدينة المنورة، محمد إلياس عبد الغني، مطابع الرشيد-المدينة المنورة، ط3، 1973م.
43. المساجد و القصور في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، د.ط، 1982م.
44. المطالب العالية، أحمد بن علي بن محمد بن علي (ابن حجر العسقلاني)،د.ط، د.ت.
45. مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد طوخي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ،د.ط، 1997م
46. المقدمة ، عبد الرحمان بن خلدون تحقيق أ.م. كاترمير، مكتبة لبنان-بيروت، ج2، 1858م

الملحق 1

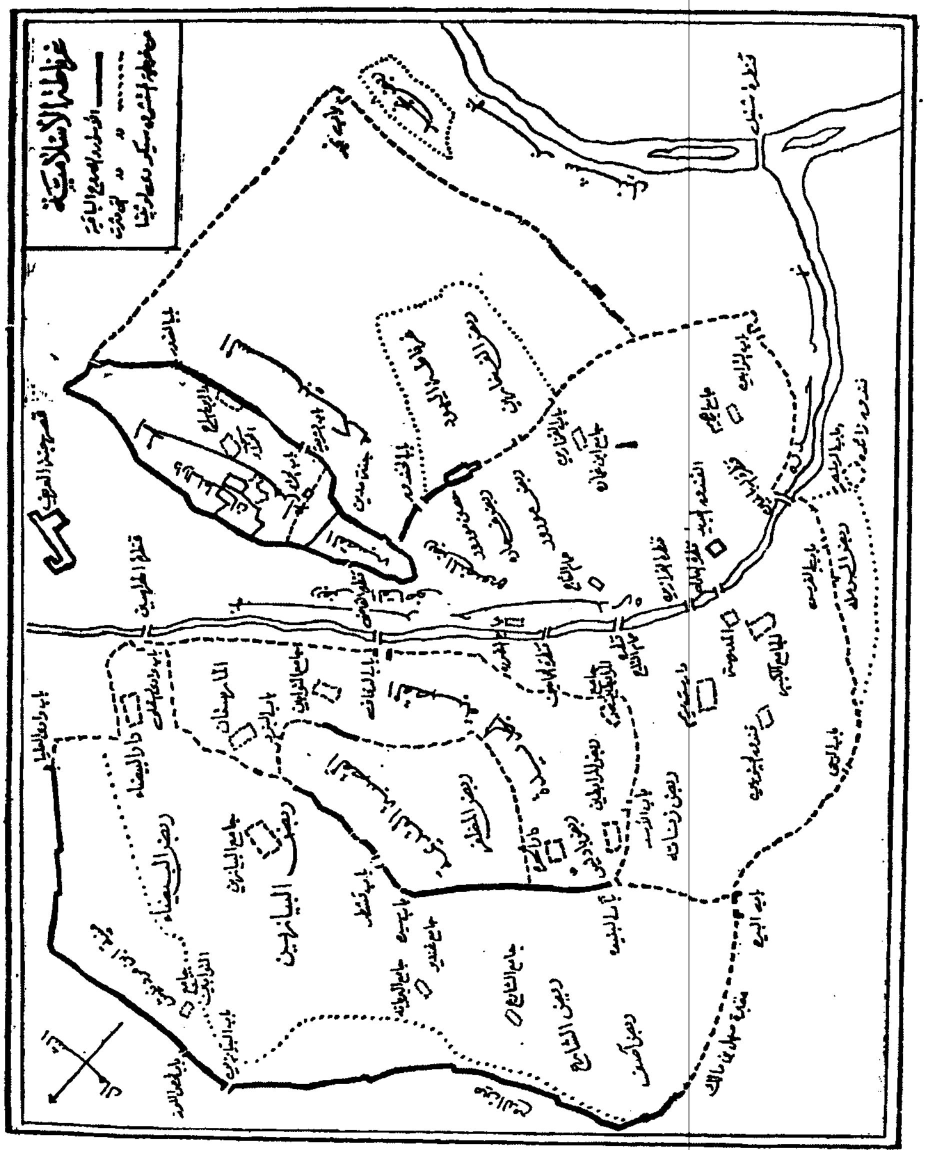

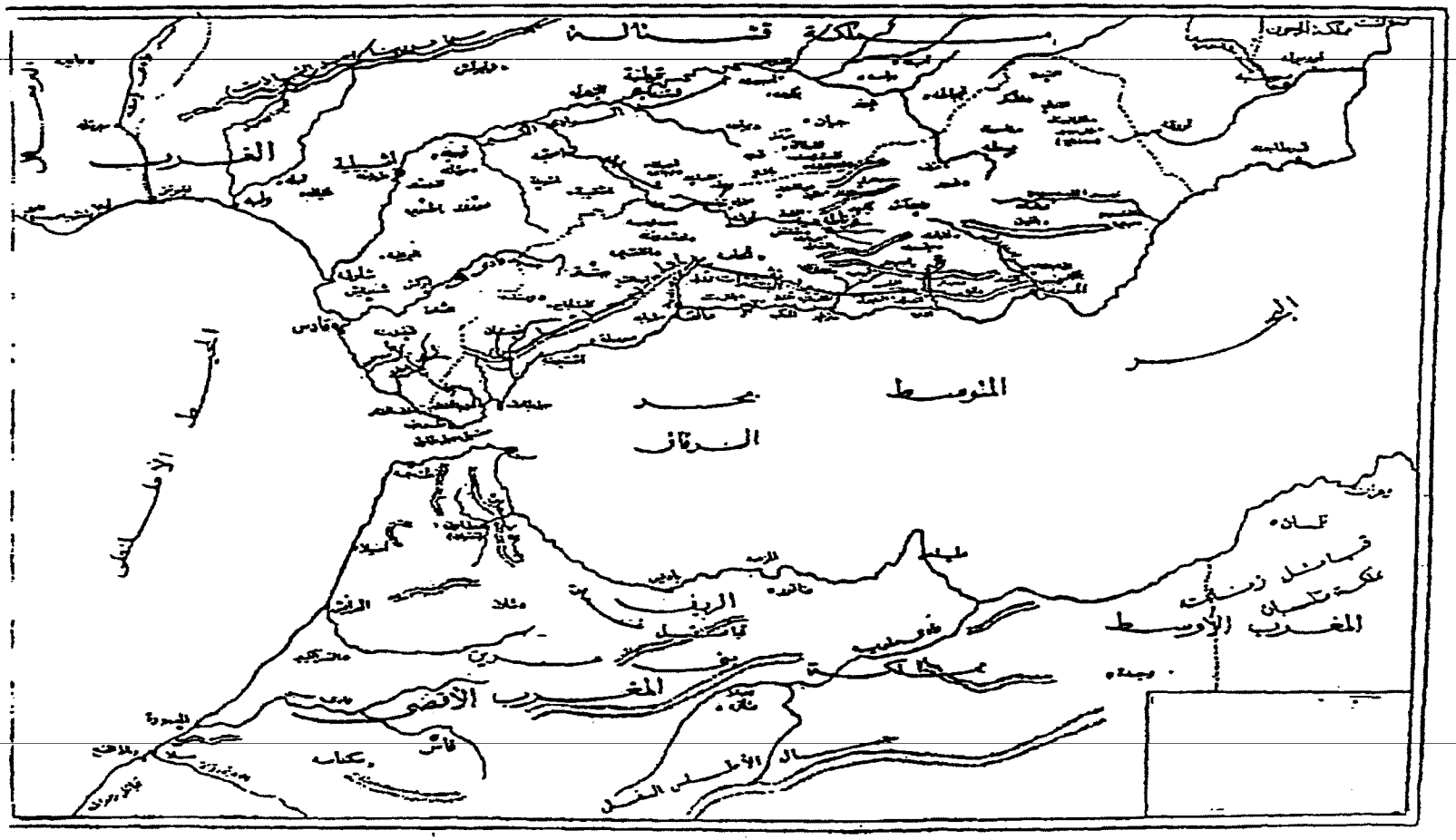

الأندلس في عهد سلاطين بني الأحمر

الملحق2

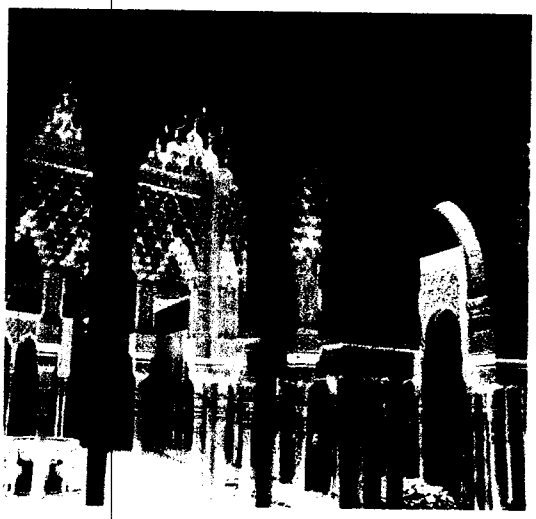

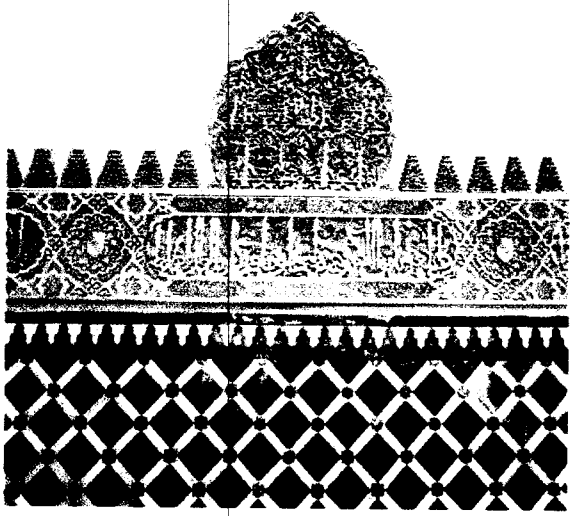

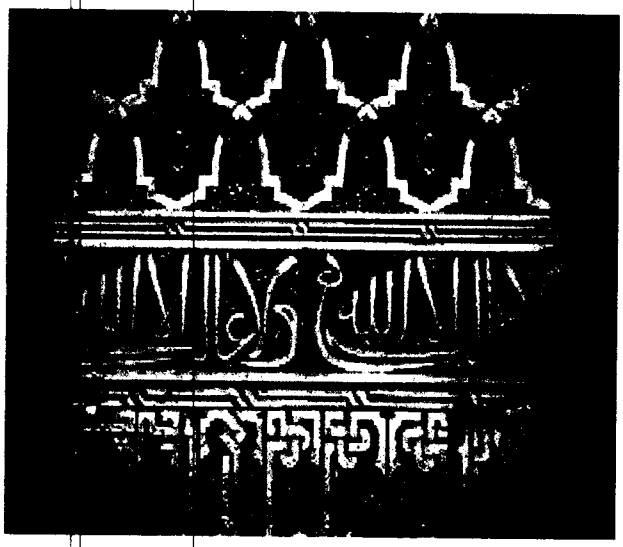

نقش يحمل شعار بني نصر" و لا غالب
إلا الله"

باب الشريعة

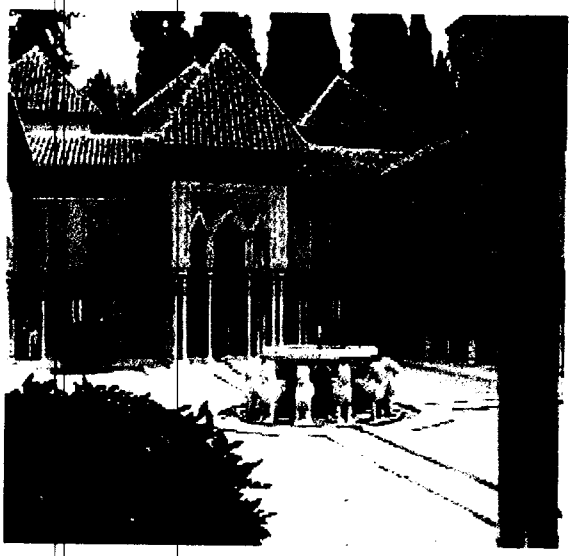

بهو السباع بقصر الحمراء

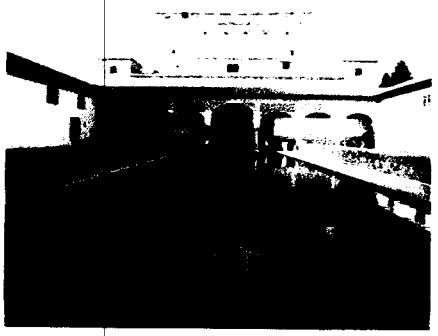

بهو الريحان حصن قصبة الحمراء

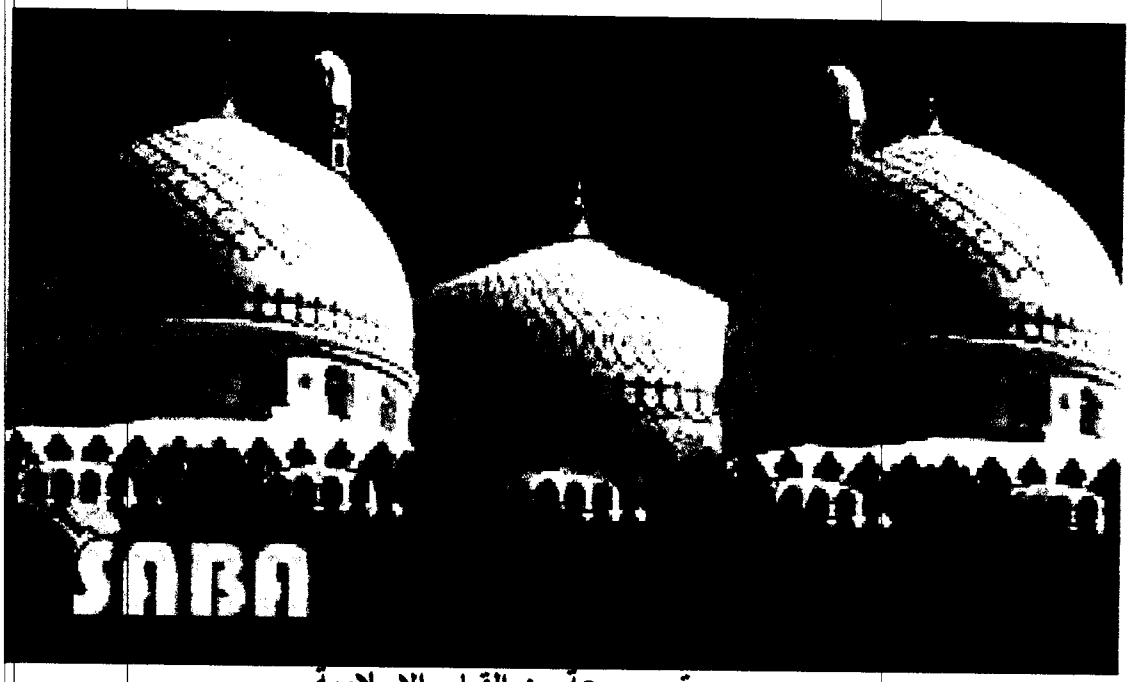

صورة مجموعة من القباب الاسلامية

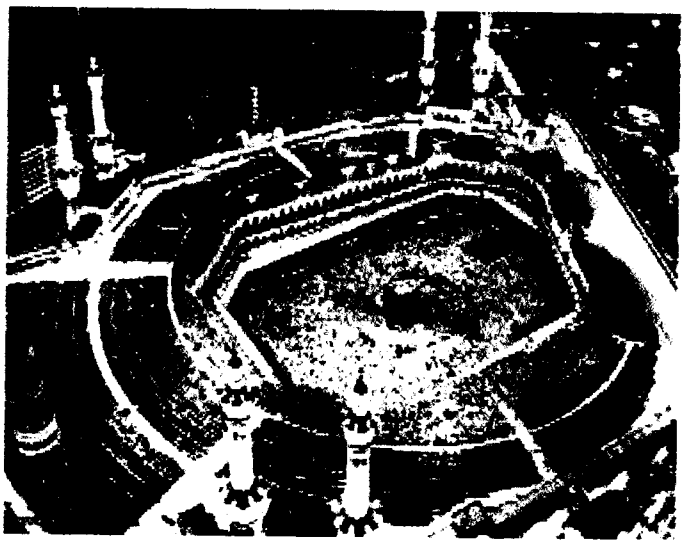

صورة حديثة للمسجد الحرام

قصر عمرة

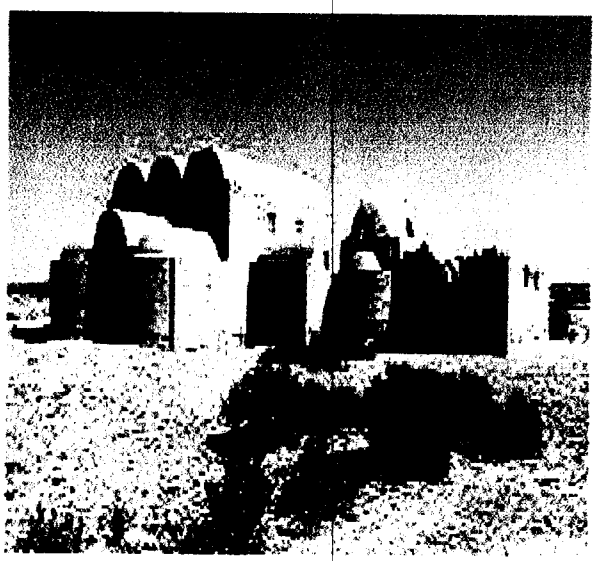

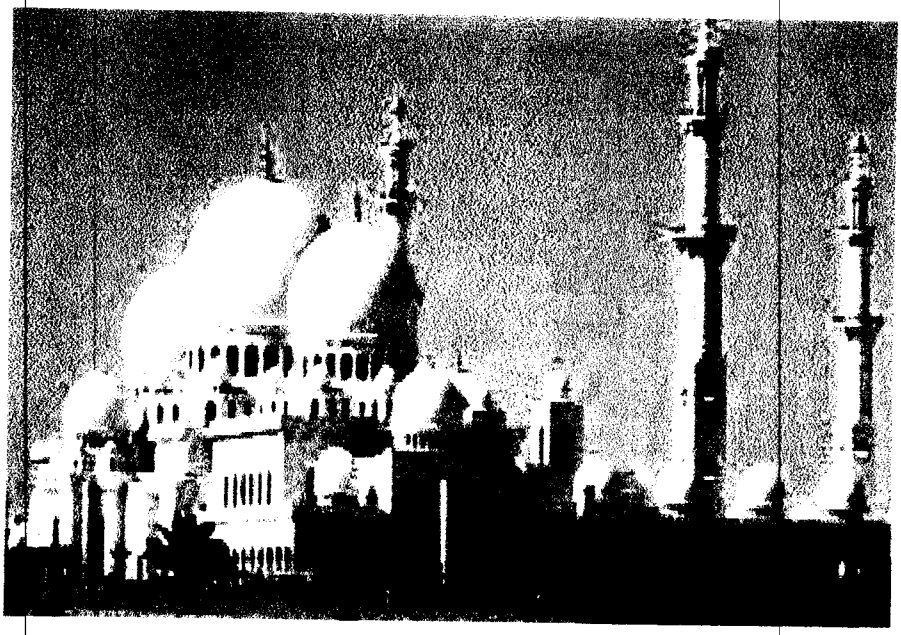

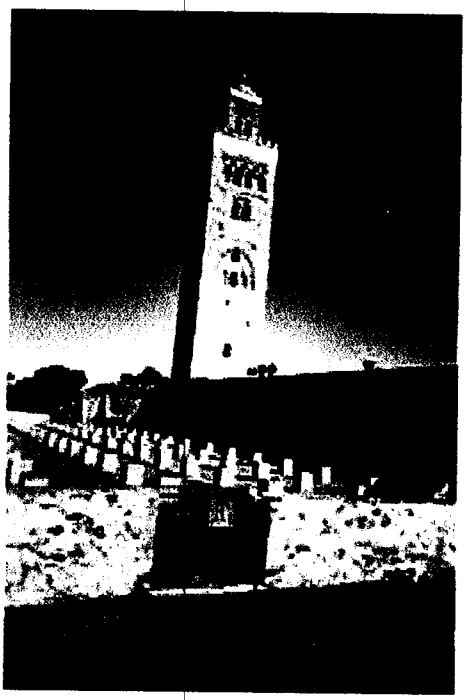

صومعة جامع الكتيبة بالمغرب

الصومعة الملتوية بالعراق

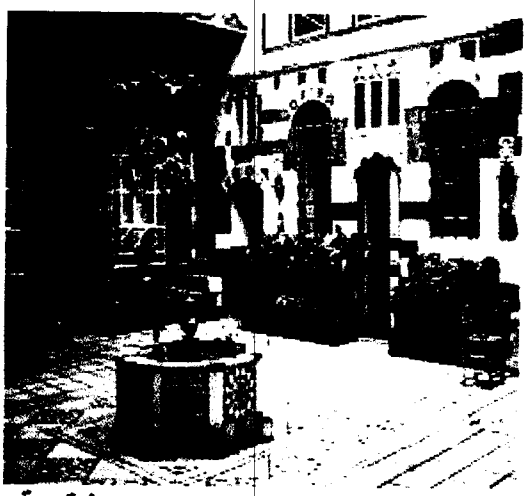

صحن بيت دمشقي قديم

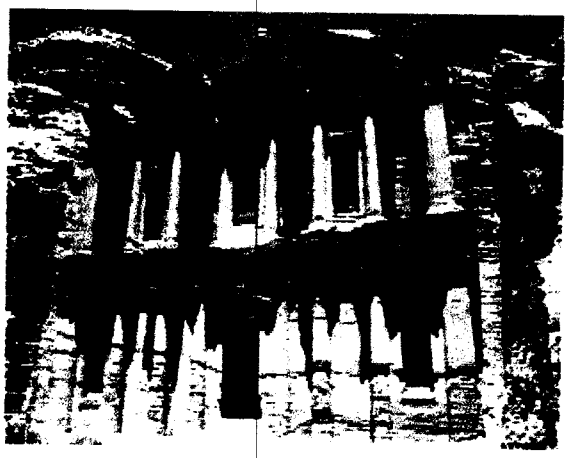

مدينة البتراء
(الأردن)

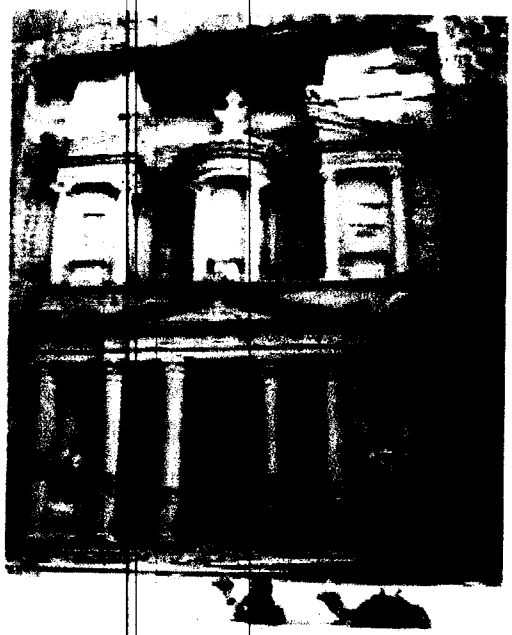

مدينة الحضر

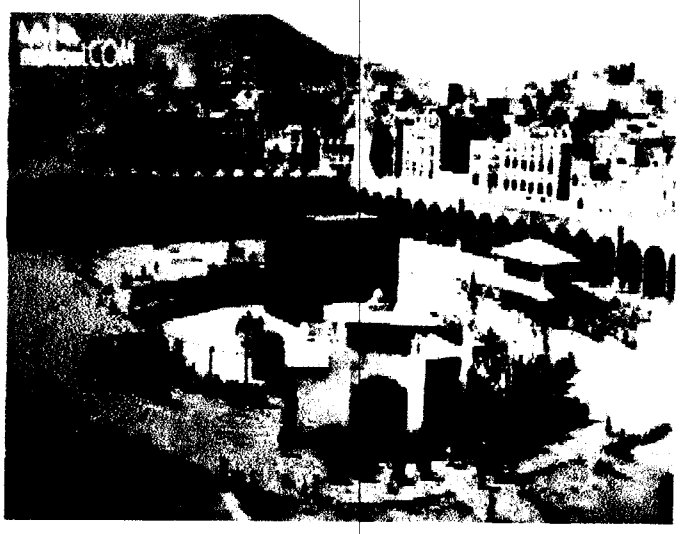

صورة قديمة للمسجد الحرام

صورة قديمة للمسجد النبوي

صورة لزيقورة عراقية

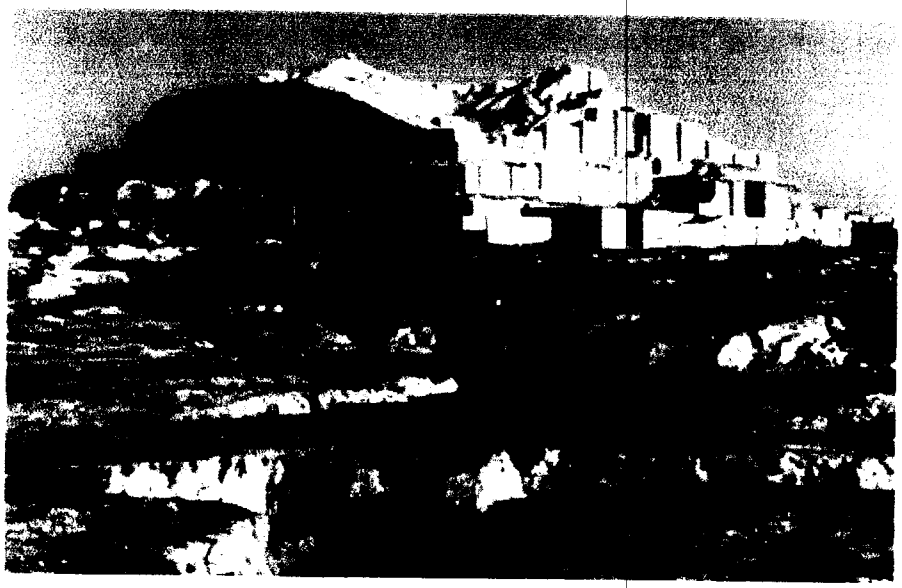

صورة لزيقورة عراقية

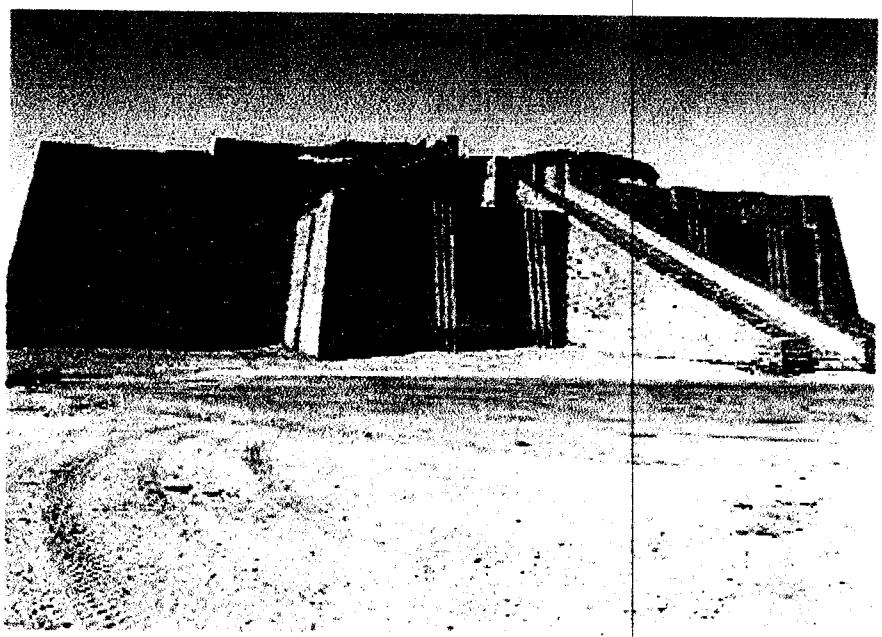

مدينة البتراء

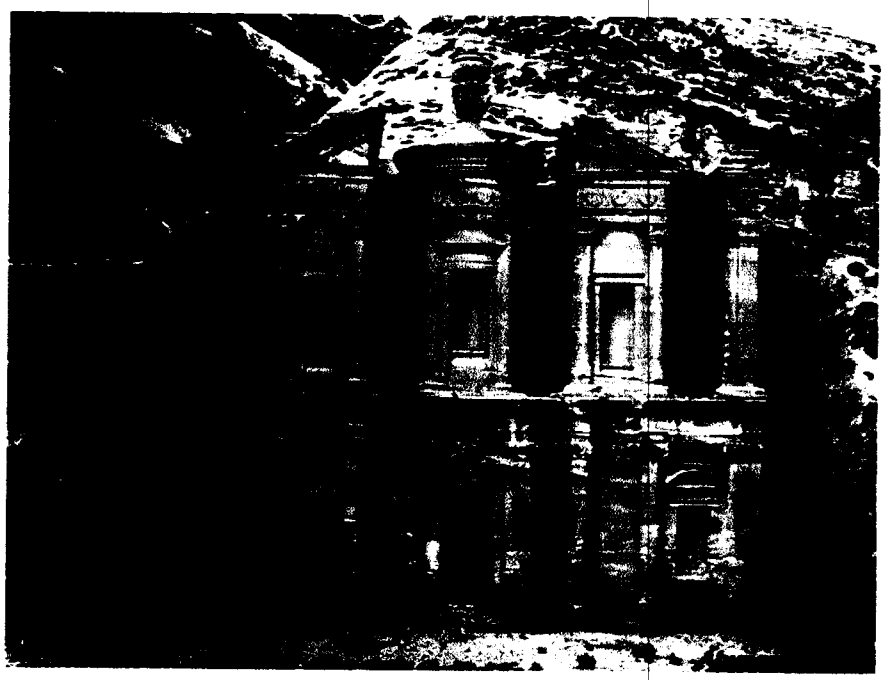

الفهرس

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....أ-ب

المدخل.....01

مفهوم العمارة.....02.

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2- العمارة العربية قبل الاسلام.....02

الفصل الأول : العمارة العربية الإسلامية.....08

المبحث الأول : المنشآت العمرانية في الاسلام.....09

أولا : العمارة الدينية.....09

أ/ المسجد.....09

أهم عناصر عمارة المساجد.....12

دور المسجد.....13

ب/ المدارس.....14

ثانيا : المنشآت المدنية.....16

أ- القصور.....16

ب- البيوت.....17

ثالثا : المنشآت الحربية.....19

أ/القلاع.....19

ب/ الرباطات.....19

المبحث الثاني : خصائص العمارة الاسلامية.....20

المبحث الثالث : العوامل التي ساعدت في ازدهار العمارة العربيةالاسلامية.

.....23

الفصل الثاني: الأندلس بعد الفتح الاسلامي.....25

المبحث الأول : الفتح الاسلامي لبلاد الأندلس.....26

1- حملة طارق بن زياد.....26

أ- أسباب الفتح.....26

ب- انتصار طارق بن زياد في موقعة وادي لكة.....29
ج- زحف طارق بن زياد إلى طليطلة عاصمة القوط.....31
2- حملة موسى بن نصير.....33
المبحث الثاني: العمران في المدينة الأندلسية.....34
1- تعريف المدينة.....34
2- المدينة الأندلسية.....35
أ- المسجد.....36
ب- السوق.....36
ج- الحمامات 37
د- الخان أو الفندق.....38
ه- المدرسة.....39
و- المنازل.....40
ز-القصور.....40
ي- المسالك و الطرق.....42
ط- المباني التي تحصن المدينة الأندلسية.....43
الفصل الثالث: قصر الحمراء.....46
المبحث الأول : غرناطة اخر الممالك الإسلامية.....47
الثاني : لمحة حول قصبة الحمراء.....49
أ- نشأة الحمراء.....49
ب- أبواب الحمراء.....50
ج- وصف المخطط الهندسي لقصر الحمراء.....51
المبحث الثالث : وصف تصاميم و زخارف قاعات قصر الحمراء.....52
أ- فناء الريحان.....53
ب- بهو السفراء.....54
ج-الحمامات الملكية.....55
د- بهو الأسود.....55
ه-قاعة الأختين 57

و- قاعة بين سراج.....57
ز- قاعة الملوك.....59
الخاتمة 61
قائمة المصادر و المراجع.....64
الملحق01.....71-70
الملحق02.....80- 72